rième année No 873

Le Caire - 27 —8— 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ بابين القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٧٣ القاهرة فى يوم الاثنين ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٩ — ٢٧ مارس سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة

الشيوعية على المصطبة

من عادتى فى المجلس ألا أتكلم إلا مضطرا ، كأن أحيا فأرد ، وكأن أسأل فأجيب ؛ أما إذا خليت لطبعى فانى أحبس لسانى عن الكلام، وأجعل أذنى لكل متكلم . لذلك تركت اخوان المصطبة يخوضون فى كل حديث ، ويطلقون على كل حادث : فمن حديث الباشا العظيم الذى يكره فلاحيه ومستأجريه على أن يتبرعوا بأقواتهم لأعمال الخير ثم يعلن التبرع باسمه على وجوه الصحف وهو لم يشارك فيه من ماله بقرش ، إلى حديث النائب المحترم الذى قطع العهود على نفسه لدائرته أيام الانتخاب أن يجعل لهم البحر طحينة ، والحياة كلها متاعا وزينة ؛ فلما وضعوه على كرسى مجلس النواب ظل موضوعا عليه كالجرة الفارغة لا تنضح حتى بالماء! إلى حديث الشيوعية التى تعد الفقير بالغنى ، وتمنى الشقى بالسعادة ، وتزعم أنها تنصف الفلاح من أمثال هذا الباشا الطماع ، وتؤمن الناخب من أشباه هذا النائب الخداع . وحينئذ قال الشيخ مصباح للشيخ مفتاح وهو يحاوره فى خير الشيوعية وشرها :

لعلك لم تسمع الكلمة التى أذاعها (الأستاذ) بالراديو منذ أيام، فى الشيوعية والاسلام . إنك لو سمعتها لكسعت أملك باليأس ورجاءك بالخيبة . إن الشيوعية لا تملك الناس أرضا . ولا توسع عليهم رزقا ، ولا تهيء لهم حرية . فبهت الشيخ مفتاح ونظر إلى نظرة المستفهم المشدوه . فقلت له : صدق الشيخ مصباح ! إن الشيوعية تأخذ نفسها بالناس ، وتدعو إلى باطلها لا إلى الحق . إنها لا تسوى بين الخالق فى الغنى والحرية ، وإنما تسوى بينهم فى الفقر والعبودية . تجعل الغنى فقيرا بانتزاع ما يملك ، ولا تجعل الفقير غنيا بامتلاك ما يستأجر . تصادر الأرضين لتكون خالصة لها من دون المواطنين ، ثم تستغلها بتسخير الأيدى العاملة فلا تعطى الزارع غير أجرته ، ولا تؤجره إلا على حسب قدرته . فهى تنزع منك بامفتاح نصف الفدان الذى تستثمره ، تصبح كل رمضان الذى يستأجره . ذلك فضلا عن كفرها بالدين الذى رضيه لك الله ، وإباحتها للزوجة التى ربطها بك الشرع .

فقال الشيخ مفتاح وهو يكرش من وجهه ويزم بأنفه ويستعيذ بربه : كل شيء تعنى الحيلة فيه إلا نصف الفدان ! إن عقيدتى فى نفسى ، وإن تحوتى فى رأسى ، وليس فى العالم قوة تستطيع أن تعبث بهما إلا برضاى . أما الملك وهو الضمان والأمان والمتعة والغبطة والمنزلة والغاية ، فليس إلى الاحتفاظ به مع الشيوعية من سبيل . فقال الفتى محجوب وهو يضرب بيده على يد فأسه : انك تعارض الشيوعية لأن لك نصف فدان ، فأما الأجير الذى لا يملك من دنياكم غير هذه الفأس فكيف يعارضها وهو لا يتصور أنه ينقلب إلى حال أدنى من هـــذه الحال ؟ قالوا للقرد: إن الله سيمسخك . فقال : لعله يجعلنى غزالا !

فقال الشيخ مفتاح : وإذا أقطعتك الحكومة ستة قراريط ؟ فصاح محجوب وصاح معه جميع الجلوس : حينئذ نلعن الشيوعية فى كل صلاة ، ونحاربها بكل قوة . ياأخى، ملكونا علكونا!

احمد حسن الزيات

عبد العزيز البشرى

بمناسبة ذكراه السابعة

الأستاذ منصور جاب الله

بين تخوّن الظروف وطغيان الحوادث ، عدا الموت قبل سبع سنين على نابغة البيان العربي في عصره ، فطويت صفحة المغفور له الشيخ عبد العزيز البشرى بعد ما أمضّه الرض الوجيع وأضناه حقبة من السنين .

وإذ قضى الشيخ البشـــرى في مارس من عام ١٩٤٣ ، كانت الجزيرة العالية ما تبرح طامية صاخبة ، تفرّق المنايا باليمين والشمال ، وتلغ الدم بالأيدى والأرجل جميعاً ، ومن ثم مضى شيخنا إلى برزخه غير مذكور إلا من قلة عرفوا فضله ولم يجحدوه ، ودرسوا أدبه ولم يجتووه .

ويوم مات أستاذنا البشرى لم ترسل في تمجيده المقالات الضافية ، ولا القصائد الباكية ، لا عن كثود ولا عن نكران ، وإنما هي « الاستحالة المادية » التي جاءت بها تلك الحرب الزبون فجدّت من حجم الصحف وصيرتها أشبه ما تكون بنشرات عسكرية تكاد تكون مقصورة على أنباء المعارك وأخبار الانتصارات والهزائم !

وكذلك كان البشرى هو الأديب المصرى الواحد — إذا لم نحن الذكرة — الذى لم يعقد له حفل تأبين يتوافى إليه صدقائه ليرسلوا فيه المقال شعراً ونثراً . وما بنا أن نرد هذا إلى قصور أو إهمال ، فالعذر القائم إنما ينصب على الحرب وويلاتها ، فالحرب هي التي جنت على الشيخ البشرى يوم وفاته ، وهي التي جنت على ذكراه فغدا اليوم في المنسيين ، وضاع في أطوار الزمن أدبه الرفيع ، وذهبت أصداء تلك الضحكات التي تكاد تخلع الأشداق إذ يرسل دعاباته ومفاكهاته بأسلوبه الذى لا يبارى

عرفت البشرى عن كثب ، وصادقته زماناً إذا قيس إلى العمر الإنساني عد طويلا ، وكان بيننا في الاسكندرية جيرة قريبة ، ومن خلال مجاورتي لهذا الرجل عرفت الكثير عن أديب من أدباء العربية الذين قل أن يجود بمثلهم الزمان

كان رحمه الله من حواري المدرسة الأدبية المحافظة التي نشأت في أعقاب الثورة العرابية ، تأثر أكثر ما تأثر بأسلوب المرحوم ابراهيم المويلحي بك ، ثم بأسلوب ابنه محمد المويلحي من بعده ، وأسلوب « المويلحي الصغير » يبين أكثر ما يبين في كتاب « حديث عيسى بن هشام » وكان الشيخ البشرى يرى في هذا الكتاب البيان العربي المثال ، وقد طالما سمعته يقول : وددت لو أكتب سطراً في مثل أسلوب حديث عيسى بن هشام ! وكان هذا القول تواضعاً منه — رحمه الله — فقد بصرنا به في بعض كتاباته يحلق ويحلّق حتى ليكون المجلّى على أستاذه ويقنع أستاذه بأن يكون مع المصلين !

وعبد العزيز البشرى — كما يعرف سائر الناس — نشأ في بيت علم ونعمة وحفاظ ، فأبوه الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر في عهد من أينع عهوده ، ولقد أراد ابنه على أن يكون من شيوخ الأزهر ، فلم يشأ « البشرى الصغير » أن يخالف عن تقاليد أسرته فانخرط في سلك طلاب الجامع العتيق على تكره منه واستثقال ، فقد أخذته أضواء النهضة الحديثة التي كانت تتوامض أضواؤها في أفق الأزهر بين الحين بعد الحين ، وهو إذ يحضر جلسات الدرس إنما كان يحضرها بجسده ، أما ذهنه فكان يشرد بعيداً ، إذ يقلب الطالب الشاب عقله ولسانه في بلاغة المويلحي التي تطالعه بها كل أسبوع صحيفة « مصباح الشرق » وكذلك فتن شيخنا البشرى بالأدب وعزف عن حلقات الفقه في الأزهر الشريف ، وداب على مراسلة الصحف الأدبية القائمة حينذاك ، حتى إذا ظفر بإجازة العالمية أبى أن يكون في عداد مدرسي الأزهر شأن أنداده وإنما انكفأ إلى وزارة المعارف ليعمل محرراً فنياً فيها .

* * *

وكان رحمه الله شديد الولوع بالفن ، أغرم به من مشرق الصبا ، وكانت له صحبة ومخالطة بأهل صناعة الغناء ، وحدثنا فيما حدثنا أنه وقد أدرك من كبار المطربين عبده الحولي ومحمد عثمان ويوسف المنيلاوى وعبد الحي حلمي وأضرابهم ، كان لا يفوته مجلس من مجالسهم المونقة ، ولكن ما كان ينفذ إلى هاتيك المجالس وهو ناشىء صغير إلا بشق النفس ، لأن الناس في ذياك العهد

كانوا ما يبرحون على الحفاظ والاحتشام ، ودون مجالس اللهو حفظة وأحراس !

وقال لنا رحمه الله إنه كان في صباه يمضي الليل ساهراً ، ولا ينام إلا غراراً مع مطالع الصبح ، فتحطم من ذلك جسمه ، وتضعضعت في الكهولة صحته . وكذلك طوى الأعوام العشرة الأخيرة من حياته مريضاً ما يكاد ينقه حتى تعاوده العلة فيرتكس حتى وطأنها ويستحث شبح الموت والموت منه بعيد !

***

وإذ كان الشيخ البشري موظفاً حكومياً ، فقد قيدته الوظيفة الحكومية بأمراس من حديد ، واشتد شعوره بالقيد الحكومي بمدأن عين قاضياً شرعياً ، فما كان يستطيع الكتابة بتوقيعه الصريح ؛ بيد أنه وقد خشي أن تنسب مقالاته إلى غيره من الكتاب ، كان يعمد إلى مطالعة كل مقال يكتبه على ملأ من الصحاب ممن يتذوقون الأدب ، فإذا دفع المقال للنشر وطالعه الناس من مصبحهم في صحيفة سيارة ، أدركوا أن هذه الجزالة اللفظية وهذا الترف البياني وهذا الترصيع الأنشائي ، كل أولئك من صنعة عبد العزيز البشري !

ورسائل « في المرآة » التي كانت تنشرها صحيفة « السياسة الأسبوعية » قبل خمسة وعشرين عاماً ، فترن رنينها ، وتحدث دويها ، وتتصل رجفتها الأدبية أسبوعاً بعد أسبوع لم تكن مهورة بتوقيع عبد العزيز البشري ؛ ولكن قارئاً من القارئين لم يكن لينسبها لغير عبد العزيز البشري .

وكان أسلوب البشري وسطاً بين الترسل والسجع ، وكانت فواصله بعيدة المدى ، ولكنها تتقاصر حينما يمزح أو يداعب . ولما أراد أن يسوي من مقالاته المبثوثة في الصحف كتاباً أذكى النساخين في المكتبات العامة فجمعوا له قدراً صالحاً مما كتب ، فقد كان — أحسن الله اليه — لا يحتفظ بشيء مما يكتب ، ثم جعل ينخل مقالاته نخلا ويغربلها بغربال دقيق ، حتى استوى له كتاب « المختار » في مجلدين . ومن حق التاريخ على الشيخ البشري أن نقول إنه لم يحرف في مقالاته شيئاً ، فهي كما نشرت لوقتها في الصحف لم يغير منها حرفا .

وقال البشري الشعر في شبابه الأول ، وكان ينشر قصائده في جريدة « الظاهر » التي كان يصدرها المرحوم محمد أبو شادي بك ، هجواً في المغفور له الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد تشيعاً منه للمرحومين مصطفى كامل ومحمد الويلحي ، ثم أجبل ثلاثين عاماً أو تزيد ، ولكن قبل بضعة عشر عاماً أسمعنا قصيدة باكية قالها رثاء في صديق له مات وهو في مشرق العمر وريق الشباب ، ثم لم يقل بعدها شعراً إلى أن وافاه الأجل المقسوم .

***

وبعد وفاة الشيخ البشري جمعت إحدى دور النشر مقالاته التي لم يضمها « المختار » وطبعتها للناس طبعاً أنيقاً فكان ذلك وفاء لذكرى أديب أجدى على الأدب الشيء الكثير ، ولكن هذا المجهود الفردي لا يكافئ أدب البشري ، فهناك قصائده في صحيفة « الظاهر » ودعاباته في مجلة « الكشكول » ويومياته في « السياسة الأسبوعية » وكل هذه تبين خصائص أدب البشري ، بما يتميز به من فكاهة وعمق وتدسس إلى مداخل الأشياء ، لو أن هذه الذخيرة جمعت لأجدت على الأدب ولأفادت الأدباء .

رحم الله شيخنا البشري فقد كان أديباً ملء إهابه ، وأفسح له المقام في دار المقام .

منصور عبد الله

من الأدب الفرنسي

قصائد وأقاصيص

للأستاذ أحمد حسن الزيات

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها .

وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

فيرون

زعيم الشكاك اليونان

للأستاذ محمد محمود زيتون

ولد فيرون بن بلسارك الفقير حوالي سنة ٣٦٥ ق. م. في (إيليس) بلد (هيبياس hippias) السفسطائي، و (فيدون Phédon) تلميذ سقراط. اشتغل نقاشا منذ نعومة أظفاره، وانصرف عن النقش إلى الفلسفة؛ غير أنه نشأ ومات فقيراً، وعمر تسعين عاما.

وقد ذهبت الآراء في (فيرون) مذاهب شتى، محور ارتكازها جميعا أنه صاحب مذهب الشك الأخلاقي الذي نسب إليه وعرف به وهو (الفيرونية Pyrrhonisme) الذي امتد في المكان والزمان ودار مع الفلك حتى انقسم شطرين: الفيرونية القديمة، والفيرونية الحديثة. ومجرد التسمية يقفنا على أن فيرون هو الجد الأول للشك وزعيم الشكاك اليونان.

عرف (فيرون) بالتقوى والورع، وعاش مع أخته (فيلستا philista) وكانت أعقل منه. كم كانت تشفق عليه، وترثي لسلوكه العجيب، وتناقضه في الحياة: فقلما كان يوجد في داره، وقلما كان يرى بين صحب أو رفاق، وكثيرا ما كان يحب الخلوة بنفسه وارتياد الحدائق النائية، والأماكن التي لا يؤمها الناس. وكان من عادته أن يترحل دون أن يعلم به أحد، فيسير كيفما اتفق إلى إلى حيثما اتفق، غير عابئ بشيء ولا مكترث لشيء. حكى عنه (ديوجين لأرس) أنه كان مرة في سفينة تتقاذفها الأمواج، وتتلاعب بها العواصف، حتى أوشك الركاب على الغرق، فهاجوا وماجوا، واضطرب حبلهم، وتوقعوا الموت في أحضان البحر، وشحبت وجوههم. أما فيرون فلم يبال ولم يهتم، بل استمر في برود تام وهدوء لا حد له، ثم وقف يقول «ذلك هو الهدوء الذي يجب أن يمنحه العقل والفلسفة لأولئك الذين لا يريدون أن يستسلموا للخطوب».

وكان صديقه (أنكسارك) في صحبته يوما فسقط في مستنقع، فلم يعبأ به (فيرون). ولم يمد له يد المساعدة بل تركه ومضى في سبيله لا يلوي على شيء، وبقدر ما لامه الناس وأوسعوه ذما وتقريعا، هناء أنكسارك على ثبات جنانه، وعصمته من التألم.

ويقول عنه (شيشرون) إنه لم يفرق بين الصحة التامة والمرض الأليم. وكان سواء عنده أن يعيش وأن يموت، وكثيرا ما كان يجري على لسانه قول (هوميروس) «ما أشبه الناس بأوراق الشجر» وتراه الآخر «أنا أنتظر الموت بهدوء، فلماذا تتعجل؟ مات قبلك (باتروكل) وهو خير منك». واتخذ شعاره «لا شيء أفضل من شيء».

كان (فيرون) محبا للرحلات، اصطحبه (أنكسارك) في حملة الإسكندر إلى الشرق، فعرف أخلاق الهنود وطقوسهم وعاداتهم، فتركوا في نفسه أبعد الأثر. ويقال إنه عرف الكثير من العادات والأخلاق الشرقية عند السوريين والميديين والمصريين والفرس.

وبعد موت (الإسكندر) عاد إلى وطنه وأسس مدرسته حوالي سنة ٣٢١ ق م وقد أكبره مواطنوه فلقبوه «الكاهن الأكبر» وأقاموا له تمثالا بعد موته، ثم إنه عاصر (أرسطو)، وعرف كتبه وتناقش مع ابن أخته (كالستين)، وتتلمذ لصغار السقراطيين والميغاريين خاصة، وتذوق مذهب (ديمقريطس) عن طريقهم وتعلم على يديهم الجدل، ولكنه بغض إليه، وعرف السفسطائيين وعاصرهم وصاحبهم وواطنهم، ووقف على أسرار الشرق وروحانيته. وبذلك استوعب التراث الفلسفي من منابته الأولى.

والمعروف أن (فيرون) لم يكتب شيئا عن مذهبه، ولم يلق محاضرات، وكل ما كتبه قطعة فنية للحث على الغزو منحه الإسكندر عليها عشرة آلاف قطعة من الذهب. وكل ما انحدر إلينا عنه نذر يسير في مقطوعات احتفظ بها معاصروه وتلاميذه وعلى رأسهم (تيمون Timon) الوفي.

وقد لخص (أرسطقليس Aristoclés) مذهب فيرون تلخيصا وافيا فقال (فيرون الإيلي لم يترك مكتوبا، ولكن تلميذه تيمون يقول: إن من أراد أن يكون سعيدا فليعتبر ثلاثا: ما الأشياء في ذاتها؟ وما موقفنا حيالها؟ وماذا نجني من وراء ذلك؟ الأشياء كلها بلا استثناء غير حقيقية على الإطلاق، وليست أحكامنا ولا

مشاعرنا بقادرة على أن تمثل لنا الحق أو الباطل. لذا وجب ألا نركن إلى الحواس ولا العقل . وإنما يجب أن نظل بدون رأى لا نجنح إلى ناحية دون أخرى . بهذا لا يتطرق إلينا الألم ، فإذا عرض لنا شيء وجب ألا نثبته أو ننفيه ، وألا نثبته أو ننفيه معاً ، وعلى هذا الوجه نصل إلى تعليق الحكم l'époque ومنه ينتج تعليق اليقين l'aphasie ثم ننتهي إلى الطمأنينة التامة l'ataraxie (١)

ولكي نزيد ذلك بيانا نتساءل مع تيمون ونجيب مع فيرون فنقول :

أولا : ما الأشياء في ذاتها ؟

يقر فيرون بأن الوقت نهار ، وأنه هو حي يرزق ، وأنه يرى بعينيه رأسه ، وأن ذلك الشيء يلوح له أبيض ، وأن العسل يبدو له حلوا ، وأن النار تحرق كما يرى ، ولكن هل الشيء في ذاته أبيض ، وهل العسل حقا حلو ، وهل من طبيعة النار أن تحرق ؟؟ يجيب فيرون : لا أدرى .

فهو لا ينكر المرئيات والمسموعات وسائر المحسوسات ، ولكن ما حقائقها ؟ لا يدرى . فالحواس هي كل ما يملك فيرون من هذه الدنيا ، وهو يعتز بها ويؤيدها بقوة ، وظواهر الأشياء وأعراضها هي كل ما يدرك من معرفة . ولكن هل هذه الظواهر هي هي بعينها حقائق الأشياء ؟ كلا . فما الحقائق إذن ؟ لا يدرى . ولهذا يقول (تيمون) « إن المظهر ملك حيثما وجد » فإذا كان ذلك هو أمر الأشياء ، فلنسأل مع تيمون هذا السؤال الثاني :

ثانياً : ما موقفنا حيال الأشياء ؟

كل الناس أو على الأقل (فيرون) يستطيع أن يثبت للشيء صفة ، وأن ينفي عنه نفس الصفة بمقدار واحد ، لأن النفي والاثبات في كفتين متعادلتين لا مرجح لأحدهما دون الآخر : الشهد حلو ، والشهد ليس بحلو . هذان الحكمان لا يثبتان في العقل ، لأن أحدهما يمحو الآخر ، فلا يعود لهما وجود ، كالنار تختفي في الخشب الذي تلتهمه . فلا يمكن القول بأن هذا الشيء شريف أو سخيف ، وأنه صحيح أو غير صحيح ، وأن هذا الشخص هو تيمون أو غير تيمون . لماذا ؟ لأن الأضداد متعادلة في تقلبها على الأشياء ، ليس فقط في المحسوسات بل في المعنويات أيضا من فضيلة ورذيلة وعدل وظلم وغير ذلك . ولا يمكن القول بأن الشهد أحلى من العنب ، لأن التفضيل يتضمن الإثبات ، ولا يمكن القول بأن الشهد ليس أحلى من العنب ، لأن ذلك يتضمن نفي الحكم عن شيء وإثباته لآخر . والنفي والإثبات لا وجود لهما لأنهما متعارضان ، وبالتالي يفني أحدهما الآخر .

فالأحكام المضافة إلى الأشياء والمعاني لا وجود لها في الواقع ، وكذلك الأحكام المسلوبة منها ، سواء كانت تقريراً أو تقديراً ، لأن الناس في عرف فيرون « إنما يخضعون في أحكامهم للقانون والعرف » فيجب أن نلتزم الحياد التام من هذه الظواهر والأعراض ، والخير كل الخير في « تعليق الحكم » . هذا هو الموقف التوقفي الذي يريده لنا فيرون حيال الأشياء ، فماذا نفيد من ذلك ؟ هذا هو السؤال الثالث والأخير فلنسأل :

ثالثا : ماذا نجني من تعليق الحكم ؟

لا يشغل الناس في حياتهم إلا التردد بين الشيء وضده ، والحيرة بين الخير والشر . وهم كثيراً ما يجلبون الهم والغم لأنفسهم بأنفسهم فيتألمون لأنهم محرومون مما يعتقدون أنه الخير الذي إن وجدوه أشفقوا من أن يفقدوه ، ثم هم يتألمون لأنهم مرتكبون لما يعتقدون أنه الشر الذي إن أصابهم تحسروا على أن قد ارتكبوه ، فلا هم بالخير فائزون ، ولا هم من الشر سالمون . فالرغبة حرمان ، والحرمان ألم ، والألم إتيان ، والإتيان رغبة . فاجتنب الاعتقاد بالخير والشر تختفي كل الوساوس والهواجس ، فإن الشك هو الخير الحق ، ومتى استراح الناس من كابوس الخير والشر ، فليضربوا في الحياة كيفما شاءت لهم الحياة ، لا يفرحون ولا يحزنون ، يأكلون حين يجوعون ، ويشربون حين يظمأون ، لا يطمحون ولا يتحسرون . راحتهم في أنهم لا يبالون ، لأنه لا شيء في الحياة ذو بال .

هذا هو فيرون يعلق الحكم وينفي الأضرار ويتجاهل الخير والشر فيشرع لا يبالي بشيء ولا يهتم بشيء ، لأن شيئا بالتأكيد ما بلغ لم يعد يطرف عينه ، أو يهز عطفيه ولو سقط أنكسارك ولو أوشك هو على الغرق .

الشرور واقعة ، ولكن لا نستطيع ولا يستطيع أحد أن

1 Brochard : Les sceptiques grecs. p : 51

يبيدها ، وما على المرء إلا أن يخفف من وقعها عليه ، وأن يهون على نفسه منها . وليمش كسائر الطغمة الدهماء ، خاضعا لقوانين الدولة وعوائدها ودينها ، لا يثور عليها ، فقد لاقى سقراط جزاء ثورته ، فامتلأت النفوس خوفا ورعبا ، وتجمدت الارادة خنوعا ومسكنة ، حتى قال تيمون « أما نحن فلا نخرج عن العرف » . وبهذا التوقف الاعتقادى نصل إلى الطمأنينة التامة والسعادة المطلقة حيث لا شر ولا ألم . وهل السعادة إلا غياب الألم ؟ وهل ينشد الانسان إلا السعادة ؟ وهل من سبيل إليها إلا فى تعليق الحكم وعدم المبالاة ؟

« فالأشياء مظاهر لا ندرى حقائقها ، فلنقف منها على الحياد غير مبالين بشىء فنستريح ونطمئن ونسعد »

واذا كان فيرون يلتمس السعادة فى الشك ، فإنه ينخرط فى سلك المفكرين بهذه الطرافة الفائقة التى أفسحت له مكانا بينهم ؛ ذلك بأن الناس انما يختلفون فى وسائلهم الى غاياتهم أكثر من اختلافهم فى غاياتهم ، واشد ما يكون الاختلاف اذا اتحدت الغايات . واذا كانت غاية الغايات عند الجميع هى السعادة ، فقد توسل لها سقراط بالعلم ، وأفلاطون بزكاة النفس ، وأرسطو بالحكمة ، وأبيقور باللذة ، وديوجين بالفوضى ، أما فيرون فوسيلته تعليق الحكم أو اللاأدرية . ولهذا يقول (وادنجتون Waddington) فى كتابه عن (فيرون والفيرونية) :

« ان أساس مذهب فيرون أنه اتخذ من الشك آلة للحكمة والاعتدال والعزلة والسعادة » أى أن فيرون اتخذ من الشك آلة للشك .

يقول الجرجانى « الشك هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك » (١) وذلك هو اللا أدرية عند فيرون

ويستطرد الجرجانى يقول : « وقيل الشك ما استوى طرفاه ، وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب الى أحدهما » وعند أبى البقاء وقيل الشك اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما ، وذلك قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عنده بالنقيضين أو لعدم الامارة فيهما » (١) وذلك هو تعليق الحكم عند فيرون .

ويقول الجوينى : « الشك ما استوى فيه اعتقادان ، أو لم يستويا ولكن لم ينته أحدهما إلى درجة الظهور الذى يبنى عليه العاقل الأمور المعتبرة » (٢) وذلك هو الشك الاعتقادى عند فيرون

ويقول التهانوى « الظن عند الفقهاء : التردد بين أمرين استويا (٣) واستدل على ذلك بذكر هذا المعنى فى (الحواشى المضدية) وفى (السلم) ، وعلى ذلك فالشك مرادف للظن . وجاء فى (كليات أبى البقاء) « الظن يكون معناه يقينا وشكا ، فهو من الأضداد كالرجاء يكون خوفا وأمنا . وفى الحديث القدسى : أنا عند ظن عبدى بى ، بمعنى اليقين والاعتقاد » (٤) .

وما دام الشك مرادفا للظن ، والظن يقين وشك ، فالشك يكون معناه اليقين . واليقين عند أبى هلال العسكرى « هو سكون النفس بما علم » (٥) وذلك هو الطمأنينة التامة غير فيرون .

ومن هذا نرى أن مذهب فيرون ليس من السفسطائية فى شىء ، وبذلك يكون ابن حزم مخطئا إذ اعتبر اللاأدرية مذهبا سفسطائيا ، واللاأدرية ليست مع ذلك إلا جزءا من « الفيرونية » الذى يتلخص فى ثلاث وثلاث :

١ — ما الأشياء فى ذاتها ؟.. لا ندرى

٢ — فما موقفنا حيالها ؟.. تعليق الحكم

٣ — فاذا نجنى من ذلك ؟.. الطمأنينة

على أن تعليق الحكم وعدم المبالاة ليسا من أساليب الحياة فى قليل ولا كثير . إذ التقدم ظاهرة الحياة ، وكل شىء فى الوجود يسعى إلى كماله ويتوق إليه ، ويشق به ، أما التوقف فنكوص على الأعقاب » ونحن فى حركة دائمة مادمنا نفكر حتى لقد قال (ديكارت) « النفس تفكر دائما L'âme pense toujours » والسكون فى نظر (هرقليطس) هو الموت والعدم ، ونحن لابد لنا من أن نختار يمينا أو شمالا pour ou cantre وصدق السيد المسيح عليه السلام : (من لم يكن معى كان على) .

(للكلام بقية)

محمد محمود زيتون

---

١ تعريفات الجرجانى ص ١٣٤

١) كليات أبى البقاء ٢) عن التهانوى مجلدا ص ٧٨٥ ٣) كشاف مصطلحات الفنون ٥) الكليات ص ٢٣٩ ٦) مختصر الفروق ص ١٠، ١٤

صور من الشعر الحديث في العراق

للاستاذ ابراهيم الوائلي

الزهاوي

ويحتج الشاعر على هذا المنع :

بأي كتاب أم بأية سنة أصد مهانا عن طريق وأمنع

ولكن هذا الاحتجاج الصارخ لما يقابل بشيء غير التجسس ورفع التقارير إلى السلطات الحاكمة :

فما نبسوا لي بالجواب وإنما أعدوا جواسيسا ورائي تتبع

تراقب أفعالي وكل عشية إلى (يلدز) عني التقارير ترفع

ويتضح لنا أن الشاعر كان قد ذهب إلى تركيا مع رفاقه مطالبين بالحرية ورفع الظلم عن البلاد العربية وبخاصة العراق وقد كان لهذه المطالبة صدى معكوس في الدوائر الحاكمة . ويتضح لنا أيضا أن الشاعر كان ذا خطر يخشى منه الحكام ويخافونه فلم يأمنوا جانبه إذا بقي في تركيا هو ورفاقه ولم يأمنوا جانبه إذا عاد إلى بلاده حراً طليقاً لذلك أعدوا له الأرصاد وبثوا له العيون وضيقوا عليه منافذ عيشه حتى أرجعوه محوطا بالقوة التي لا ترحم وبالجواسيس الذين لا ذمة لهم ، ولم يكن نصيب أصحابه بأقل من نصيبه فقد نفي كل واحد منهم إلى مكان وأبعد إلى منأى وعومل بمثل ما عومل به الشاعر . وهنا نترك مجال التعبير للشاعر نفسه يحدثنا عن مشهد من أشق المشاهد وأفجعها عليه وهو مشهد التوديع وما يبعثه من أسى ولوعة ، مشهد الشاعر يودع أصحابه بقلب واجف مضطرب ودمع سخي متدفق ، ومشهد أصحابه وهم يودعونه بمثل ما ودعهم به وكل واحد منهم محوط بفريق من الشرطة يسرعون به في طريق النفي والابعاد :

أودعهم والقلب ممتلىء لهم حنانا وجفن العين بالدمع مترع

يشيعهم قلبي يسير وراءهم وقلبهم يمشي ورائي يشيع

يحيط بنا من كل صوب وجانب فريق من (البوليس) يسعى فيسرع

نبعد منفيين كل لبلدة وما ذنبنا الا نصائح تنفع

إذا فلم يكن ذنب الشاعر حين لاقى ما لاقاه هو وأصحابه إلا الدعوة إلى الاصلاح ورفع الحيف عن الشعوب المكبلة بالأغلال .

وتنتهي هذه القصة المؤلمة بالاستنكار لهذا الوضع الجائر ولتحمل الأذى والظلم ، ووصف ما كان يلاقيه الشاعر من تهديد بالموت الذي هو خير من هذه الحياة الداكنة :

إلى أي وقت نعبد الظلم خشية فنسجد للقوم البغاة ونركع

حملنا الأذى حتى حنا من ظهورنا وقيل لنا لم يبق في القوس منزع

يهددني بالموت قوم وأنه لدون الذي من عسفهم أتجرع

والموت خير من حياة مهانة يرى الخروج السوء فيها ويسمع

ويرسم لنا الزهاوي صورة أخرى لهذا الظلم . وقصة من تلك القصص التي تتجدد كلما تجدد والي أو حاكم . قصة الأحرار المشردين . والسكاكين التي تشحذ كل يوم . والرعية التي تساق سوق الأغنام ، والرشوة التي قضت على معالم العدل وغيرت مجرى القوانين . كل ذلك نجده في قصيدته « الظلم والعدل » :

تأن في الظلم تخفيفاً وتهويناً فالظلم يقتلنا والعدل يحيينا

يا مالكا أمر هذي الناس في يده عامل برفق رعاياك المساكينا

لهوت عنا بما أوتيت من دعة فابيض ليلك واسودت لياليا

ثم يستعرض بكاء الأرامل . وتقتيل الشباب ، وقسوة الولاة والرشوة وضياع العدل :

كم نسوة قتلت ظلما بمولتها فصرن يهملن دمعاً قبله صينا

وكم شباب من الأحرار قد هلكوا وللإرادات قد صاروا قرابينا

قست قلوب ولاة أنت مرسلهم كأنما الله لم يخلق بهما لينا

تراهم أغبياء عند مصلحة وفي المفاسد تلفاهم شياطينا

وضاع في الملك عدل يستظل به ما بين إغماض مرشي وراشينا

ان الرعية أغنام يحد لها عمالك المستبدون السكاكينا

ولكن :

ما جاءنا الشر إلا من تهاوننا ما عمنا الظلم إلا من تغاضينا

ان في ديوان « الكلم المنظوم » كثيراً من هذا النغم الثائر

الحزين الذى يتدفق عن حرارة ولهفة وينبع من أعماق النفس ، وكله لا يختلف من حيث العاطفة المشبوبة والموسيقى اللفظية .

ونكتفى بهذا القدر الذى سقناه مما نظمه الزهاوى أيام الاستبداد لنتحدث عن شعره بعد إعادة الدستور ولنرى موقفه من هذا الحادث العظيم فى تاريخ الدولة العثمانية .

لم نجد للزهاوى قصائد كثيرة فى مناسبة الدستور وإنما كل الذى وجدناه لا يصل إلى ما وصل إليه ذلك الذى نظمه أيام الاستبداد ؟ وهذا القدار القليل كاف لأن يفسر لنا مذهب الشاعر وموقفه حيال الدستور وهو موقف الفرح المستبشر والراضى المطمئن .

فى « الكلم المنظوم » قصيدة عنوانها (التعاون) قالها بعد إعلان الدستور — أو بالأحرى إعادته — وتلاها يوم انعقدت جمعية الاتحاد فى بغداد، والقصيدة لا تتجاوز خمسة وعشرين بيتا نجتزىء منها ما يأتى :

حزب التعاون فى الدنيا هو الناجى ... تمشى على ضوئه فى ليلنا الداجى
قد أفلحت أمة فى قصده نهجت ... فانه للترقى خير منهاج
ان الذى أصبحت عينى تشاهده ... قد أبهج القلب منى أى إبهاج
قد أعلنت للورى حرية فمضى ... زمان سخرة ذى أمرو (قرباج)
واطلقت كل نفس من اسارتها ... هذا الذى كان يرجو نيله الراجى

ثم يؤرخ هذه المناسبة :

فقال فى وصفها شعرى يؤرخها: (تحرر الناس من أسر وإحواج)

ويصادف هذا التاريخ سنة ١٣٢٦ هـ .

وقصيدة أخرى عنوانها « عيد ومأتم » قالها فى هذه المناسبة وقد صادف أن مات رجب باشا صديق الشاعر أيام اعادة الدستور فجمع الشاعر بين الفرح والحزن :

عم البلاد سرور لا يكدره ... إلا وفاة أبى احرارها رجب
أفراحنا برزا يا ناقد اختلطت ... فقلت : قد طابت الدنيا ولم تطب

ليس هذا الذى تحدثنا عنه بقريب على الزهاوى وقد نفى وشرد وأبصر بعينه ما يجرى فى العراق وغير العراق من سوء المعاملة وما تعانيه هذه الأقطار من فقر وجهل وما يقع على الأحرار والأبرياء من تنكيل واضطهاد. ليس بغريب على الزهاوى أن يثور على عبد الحميد وولاته وأن يستبشر بعودة الأستور ولكن الغريب أن عبد الحميد الذى يقول فيه الزهاوى :

أيأمر ظل الله فى أرضه بما ... نهى الله عنه والنبى المبجل

وجدناه فى شعر الزهاوى حاميا للدين الاسلامى رافعاً منار الشريعة كما فى قصيدته (الفتح الحيدى) :

تهنيك بالفتح المبين الذى به ... تسامى منار للشريعة واستعلى !!

ولنا أن نعتذر عن الشاعر بما فسرنا به موقف الكاظمى من العاطفة الدينية التى استجاب لها الزهاوى حين رأى انتصار عبد الحميد على أوروبا الشرقية فاهتز لهذا الانتصار كما اهتز له غيره من الشعراء. وإلا فأى رافع لمنار الشريعة ذلك الذى حاد عن سنن النبى والكتاب ؟ .

ابراهيم الوائلى

عدو الشعب الجاشنكير

للاستاذ عطية الشيخ

تتمة

فى قلعة الكرك .

وقف اعرابيان على باب قلعة الكرك واستأذنا فى الدخول على الناصر ذاكرين أنهما من مصر . فلما مثلا بين يديه كشف ابن قراسنقر لثامه فعرفه السلطان وقال له : محمد ؟ فقال لبيك يا مولانا السلطان ، وقبل الأرض وقال لابد من الخلوة ، فصرف السلطان من حوله . وآنئذ حدثه محمد باتفاق أبيه مع قبجق وأستدمر على مناصرته ، وسلم إليه كتابا من الثلاثة الموالين مضمونه لوم الملك على النزول عن العرش ووعده برجوع ملكه إليه ، فلما قرأه قال يا محمد ، ما لهم قدرة على ما اتفقوا عليه ، فإن أمراء مصر والشام قد اتفقوا على سلطنة بيبرس ، والشاعر يقول .

كن جريا إذا رأيت جبانا ... وجبانا إذا رأيت جريا
لا تقاتل بواحد أهل بيت ... فضعيفان يغلبان قويا

ولن يتم لنا الحال إلا بالحيلة وحسن التدبير والمداراة والصبر على الأمور ، وأرسل مع ابن قراسنقر جوابا لأبيه نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : حرس الله تعالى نعمة المقر العالى الأبوى الشمسى ومتعنا بطول حياته ، فقد عملنا ما أشار به وما عول عليه ... وهذا الأمر ما ينال بالعجلة ... وإن حضر إليك من جهة المظفر أحد ، وطلب منك اليمين فقدم النية أنك مجبور واحلف ، ولا تقطع كتبك عنى » وهكذا بدأ الناصر يتصل سرا بمن يستطيع إفساده من الأمراء وأعيان الدولة .

عقارب السعاية

وأخذت عقارب السعاية تعمل بين المظفر والناصر ، توغر بطانة كل قلب صاحبها ليسرع إلى الوقيعة بالآخر ، حتى بعث المظفر للناصر بالكرك يطلب ما عنده من الخيل والمماليك ، ويهدده بالنفى إلى القسطنطينية إن لم يجب ، فغضب الناصر غضبا شديدا وقال : « أنا خليت ملك مصر والشام لبيبرس ، فما يكفيه حتى ضاقت عينه على فرس عندى ومملوك لى ، إرجع إليه وقل له ! « والله لئن لم يتركنى ، وإلا دخلت بلاد التتار وأعلمتهم أنى تركت ملك أبى وأخى وملكى لمملوكى ، وهو يتابعنى ويطلب منى ما أخذته » فأغلظ له رسول بيبرس القول حتى اشتد غضب الناصر وصاح به ، ويلك ! وأمر أن يرمى من سور القلعة . ثم تاب إلى رشده واكتفى بحبسه ، ثم طرده ماشيا من الكرك ، وقد استغل الناصر ما حدث لاستدرار عطف الناس فكتب إلى جميع الأمراء بالدولة المصرية وإلى النواب بالبلاد الشامية كتبا سيرها مع العربان يستنكر سلوك بيبرس معه ، وفى آخر كل جواب « إما أن تردوه عنى وإما أن أسير إلى بلاد التتار لاجئا مستغيثا »

بداية النهاية

كانت الأفكار مهيأة من قبل عند أمراء الشام بزعامة قراسنقر فكتبوا الى الناصر بأنهم طوع أمره ، أما أمراء مصر وقوادها فأخذوا يهربون إلى الكرك وينضمون إلى الناصر بمماليكهم وأموالهم وأسلحتهم ، تاركين أولادهم بمصر ، فبدأ الشك يساور بيبرس ، وارتاب فى جميع المماليك بسبب ذلك ، وزاد الأمر حرجا أن البرجية ، وهم أعوان بيبرس استغلوا ظروفه الحرجة وأخذوا يظهرون جشعهم ، ويطالبون ثمن اخلاصهم ، ثم استبد الخوف ببيبرس وارتاب فى أخلص الناس إليه ، وقبض على كثير من الأمراء والمماليك ، وقطع رواتبهم وأرسل كتابا شديد اللهجة إلى الملك الناصر ليعيد من هرب إلى مصر ، وأغلظ فيه وأفحش على غير عادته ، ولكنه الضعف دائما ، وحرج المركز ، يسيبان الشعور بالنقص ، فيعوض الإنسان هذا الشعور ، بالتكبر والتعالى مرة ، وبإذاء الألفاظ مرة أخرى ، وبالوعيد والتهديد آنا آخر ، وقد أشارت بطانة الناصر عليه ، أن يرد على بيبرس ردا ليما إمعانا فى الخديعة ، حتى يتم الاستعداد ، وينفض عنه الجميع .

رد مخادع

كتب الناصر إلى بيبرس جوابا على طلبه من هرب من الأمراء هذا نصه : « المملوك محمد بن قلاوون يقبل اليد العالية المولوية السلطانية المظفرية أسبغ الله ظلها ، ورفع قدرها ومحلها ... لما علم المملوك بوصولهم أغلق باب القلعة وسيرت إليهم ألومهم على ما فعلوه ... وعلمت أنهم إنما هربوا خوفا على حياتهم ، واستجاروا بالمملوك ، والمملوك يستجير بظل الدولة المظفرية ... والمملوك يسأل كريم العفو والصفح الجميل ، والله تعالى قال فى كتابه الكريم ، وهو أصدق القائلين (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)

عرش يتهاوى

وصل هذا الجواب للملك المظفر فاطمأن خاطره ، واستنام إلى الخديعة ، ولم يقرع له ناقوس الخطر إلا كتاب وصل إليه من الأفرم نائب دمشق بأن الناصر خرج من الكرك بقضه وقضيضه ، وأن كل أمراء الشام قد انحازوا إليه بعساكرهم وأموالهم ، وأن منابر الشام بدأت تدعو للناصر . ومنعت اسم بيبرس من الخطبة ، وشاع خبر خروجه فى مصر ، فازدادت حركة الهرب والانحياز إليه من المماليك والأمراء ، ثم أخذ المظفر يرسل الجيش تلو الجيش لمحاربة الناصر فيفر الجنود والأمراء ويلتحقون بجيش الناصر فى الشام .

يجني عليه اغتراره

هال المظفر ما يدور حوله ، وشعر بحرج مركزه فرأى تجديد البيعة لنفسه ، واستدعى الخليفة ، وحلف بين يديه الأمراء ، واستكتبه عهداً جديدا ليتلى فى المساجد على مسامع الشعب ، ونسخة العهد : « إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى الربيع سليمان بن أحمد العباسى إلى أمراء المسلمين وجيوشها (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وإنى رضيت لكم بعبد الله تعالى الملك المظفر ركن الدين نائبا عنى بالديار المصرية والبلاد الشامية وأقمته مقام نفسى لدينه وكفاءته وأهليته ، ورضيته للمؤمنين ، وعزلت من كان قبله بعد علمى بنزوله عن الملك ، ورأيت ذلك متعينا على ، وحكمت بذلك الحكام الأربعة ، واعلموا رحمكم الله أن الملك عقيم ليس بالوراثة لأحد خالف عن سالف ولا ساغر عن كابر ، وقد استخرت الله تعالى ووليت عليكم الملك المظفر فمن أطاعه فقد أطاعنى ومن عصاه فقد عصانى ، ومن عصانى فقد عصى أبا القاسم ابن عمى صلى الله عليه وسلم. وبلغنى أن الملك الناصر ابن السلطان الملك المنصور شق العصا على المسلمين ، وفرق كلمتهم وشتت شملهم ، وأطمع عدوهم فيهم ، وعرض البلاد الشامية والمصرية لسبى الحريم والأولاد ، وسفك الدماء وأنا خارج إليه ومحاربه إن استمر على ذلك ...

وقد أوجبت عليكم بامعاشر المسلمين كافة الخروج تحت لوائى اللواء الشريف ...

ولما قرىء هذا العهد على منابر مساجد القاهرة وبلغ القارىء اسم الناصر صاح العوام نصره الله ، ولما وصل إلى اسم الملك المظفر صاحوا لالا، مانريده ، وقامت ضجة وحركة فى القاهرة ومصر بسبب ذلك .

حتى فتنة وصريخ

كان بروغلى قائد قواد بيبرس وزوج ابنته لما رأى العسكر والقواد يفرون إلى الناصر طلب إلى المظفر أن يقود الجيش بنفسه فتعلل بيبرس بكراهيته للفتنة وسفك الدماء ، واكتفى بتجديد البيعة وعهد الخليفة ، فلم يرق ذلك فى نظر بروغلى ، وقال له على لسان الرسول «يا بارد الذقن هل بقى أحد يلتفت إلى الخليفة؟ » ثم هرب مع جيشه وانضم للناصر وإذ ذاك سقط فى يد المظفر وعلم بزوال ملكه ، وظهر عليه اختلال الحال وأخذ خواصه يلومونه على أخطائه ، ككل ملك يأفل نجمه فيكثر ناقدوه وتعد حسناته سيئات ، وكان أكثر لومهم له فى إبقائه سلار ، وإغضائه الطرف عنه ، مع أن جميع ماحصل من اختلال الدولة بسببه ؛ فإنه لما فاته السلطنة وقام بيبرس فيها حسده على ذلك ، ودبر عليه ، واشترك فى إثارة الفتنة مع دسائس الناصر «وبيبرس فى غفلة عنه فانه كان سليم الباطن لا يظن أن صديقه يخونه »

ويل للمغلوب

بلغ من انحلال أمر بيبرس أن العوام كانوا يعلنون سبه فى الشوارع ، ويهتفون به تحت أسوار القلعة ، فلم يجد بداً من أن يكتب للناصر يتنازله عن الملك وقال فى كتبه «إن حبستنى عددت ذلك خلوة ، وإن نفيتنى عددت ذلك سياحة ، وان قتلتنى كان ذلك لى شهادة » ثم فكر فى ترك القاهرة خلسة والسفر إلى أسوان للاحتماء ببلاد النوبة ، لأنها من قديم مهرب لمن هوى نجمه من أمراء مصر وملوكها « فكأنما نودى فى الناس بأنه خرج هاربا ، فاجتمع العوام وعندما برز من باب الاصطبل صاحوا به وتبعوه ثم تجاوزوا الحد فى إهانته وشتمه بل أخذوا يقذفونه بالحجارة .

فى ساعة العسرة

عز على مماليك بيبرس السبعمائة ماقابلته العامة بسيدهم فثارت ثائرتهم ، وهموا بوضع السيف فيهم ، ولكن بيبرس الذى لاقى ما لاقى فى سبيل خدمة الشعب والمحافظة على ماله لم يقبل أن يسىء إلى أحد ، ونهاهم عما هموا به ، وطلب إليهم أن ينثروا ما معهم من الذهب على العامة لينشغلوا بجمعه عن السب والاهانة والجرى وراء الركب ، وقد نفذ مماليكه أمره ، وأخرج كل منهم حفنة من الذهب ونثرها على الشعب ، ولكن العامة لم تلتفت للذهب ووجدت فى القسوة على هذا العزيز الذى ذل مغنما أكبر من الذهب ؛ وبذىء الألفاظ دائما أشهى إلى نفوس العامة من كل طعام آخر ، فاستمروا يمدون

خلف الملك ، وهم يسبون ويصيحون ؛ ولما علم خطباء المساجد إلى الوجه القبلي أسقطوا اسمه من الخطبة ، وأعلنوا على المنابر اسم الملك الناصر .

لعبى الله الدنيا :

كان أتباع المظفر يتناقصون كلما أوغل في السير للجنوب وما وصل إلى إخميم حتى كان أكثر مماليكه قد فارقه ، بانثنى عزمه عن الوصول إلى أسوان وعاد أدراجه في طريقه إلى السويس ليذهب منها إلى بلاد الشام . وأرسل السلطان في طلبه بعض الأمراء برياسة قراسنقر فأدركوه في غزة، وأراد من بقي حوله من المماليك أن يدافعوا عنه ليخلص من الطالب فقال (أنا كنت ملكا وحولي أضعافكم ولي عصبة كبيرة من الأمراء وما اخترت سفك الدماء) وما زال بهم حتى كفوا عن القتال وسلم نفسه لقراسنقر وكذلك سلم مماليكه السلاح ... وفي طريق عودة الجيم إلى القاهرة لمقابلة الناصر قابل الركب في الخطارة بمديرية الشرقية رسول آخر من الملك ، أنزل المظفر عن فرسه ، وقيده بقيد أحضره معه فبكى وتحدرت دموعه ، فشق ذلك على قراسنقر وقال : لعن الله الدنيا ! ياليتنا متنا وما رأينا هذا اليوم ! ورمي قلنسوته على الأرض من شدة الألم ، مع أن قراسنقر كان أكبر الساعين ضد المظفر والعاملين على زوال ملكه، وبلغ الناصر ما أظهره قراسنقر من العاطفة نحو بيبرس فطلبه ليقتله ، ولم يجد مجالا للخلاص إلا الهرب إلى بلاد الشام . وليت شعري كيف يعاقب الإنسان على عاطفة أثارتها حوادث دامية يتفتت لها الجلمود الأصم .

محاكمة :

مثل المظفر بين يدي السلطان ، وقبل الأرض فعنفه الناصر ، وأخذ يعدد ذنوبه على مسامعه ويقول: « تذكر وقد رددت شفاعتي في حق فلان ، واستدعيت نفقة في يوم كذا فمنعتها ، وطلبت مرة حلوى بلوز وسكر فمنعتني ، ويلك ! وزدت في أمري حتى منعتني شهوة نفسي » فلما فرغ كلام السلطان قال المظفر : وإيش يقول المملوك لأستاذه ؟ فقال السلطان : أنا اليوم أستاذك وبالأمس طلبت أوزا مشويا ، فقلت إيش يعمل بالأوز ؟ أيأكل عشرين مرة في النهار ! ثم طلب السلطان وترا ليخنق به بيبرس أمامه فالتمس المظفر وضوءا ليتوضأ ، ثم خنق المظفر حتى كاد يتلف . ثم ترك حتى فاق وأخذ الملك يعنفه ويزيد في شتمه ، وكرر الخنق والإفاقة والتعنيف حتى مات المظفر تحت العذاب فأنزل إلى الاسطبل على درابزين وغسل وكفن ودفن خلف قلعة الجبل وأخفى قبره ، وكذلك مثل الملك بابنته وزوجه وصادر أموالها وحتى جواهرها بتحريض بطانته ، وعلى إثر هذه المأساة وقف الشاعر يقول :

تثنى عطف مصر حين وافى ... قدوم الناصر الملك الخبير
فذل الجحشنكير بلا لقاء ... وأمسى وهو ذو جاش نكير
إذا لم تعضد الأقدار شخصاً ... فأول ما يراع من النصير

علي الشيخ
مفتش المارف بالمنيا

في تقسيم النفس

التوافق الفكري

بين سيجموند فرويد والغزالي

للأستاذ نور الدين رضا الواعظ

قد يبدو غريباً إذا قلنا ، ان التقسيم الثلاثي الجديد للجهاز النفسي من قبل العلامة فرويد لم يكن حدثاً جديداً ، ولا إبداعاً علمياً ، لأنه سبق أن تطرق إليه العلامة الغزالي » فعندما نقول هذا القول لا يعني أننا عقت فرويداً ونتعصب للغزالي ، أو نريد أن نحط من قيمة فرويد العلمية حتى نرفع من شأن الغزالي لأن ؛ كلا من العلامتين في غنى عن المدح والقدح . ولكننا نريد أن نبحث عن الحقيقة أينما وجدت ونتخذ « خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت » لأن التفكير العلمي يقتضي التجرد عن التزمت ، والابتعاد عن التعصب ، والا إختل « التوازن العلمي » الذي يجب السير بهداه ، أثناء البحث والتنقيب عن الحقائق العلمية ..

وعناصر التقسيم الثلاثى لجهاز النفس عند فرويد هى :

١ — الهو — وهو ذلك الجانب من النفس الذى يسود فيه مبدأ اللذة .. بمعنى أن فيه كل الغرائز الفطرية والميول والنزعات الأولية (أو الحيوانيه) التى ورثها الانسان من حيـاته اليدائية ومستقر هذه النزعات هو اللاشعور . وأسلمها (الغريزة الجنسية) بمعناها الواسع التى (تشمل كل ما يهدف إلى اللذة فى الكائن الحى)(١)

(والهو فى بحثه عن اللذة يخبط خبـــط عشواء لا يعرف المنطق ولا التبصر ولا وزن الأمور ، وانما هو يندفع فى قوة وعنف لارضاء دوافعه واشباعها لا يرعى حرمة ولا يكف لحظة)(٢)

٢ — الأنا . هو الجانب الشعورى من النفس ، وهو يدين بمبدأ الواقع ، ويتكون من تحول جزء من (الهو) نتيجة الاتصال بالحياة الخارجية ، أى أن هنالك (عملية تفاعلية بين مبدأ اللذة المتمثل فى الهو .. ومبدأ الواقع المتمثل فى الانا ، تنتهى بتكوين الانا تدريجيا) (٣) . والأنا يقوم بأعماله وفق المنطق والعقل ، خلافا لما عليه (الهو) . ويتأمل فى عواقب الأمور ونتائجها ، ويزنها بميزان الدافع .. والأنا يطابق ما يسمى بالنفس أو الذات الشعورية » . (٤) الأنا الأعلى . وهو بمثابة المرشد للنفس ينصحها ويهديها سبيل الرشاد ، ويساعد الأنا فى صراعه مع الهو ، وينهال عليه بموج من الترغيب والترهيب ، ليصمد أمام نداءات (الهو) الشهوانية ، ويردها على أعقابها . والانا الأعلى يتكون من الدوافع الدينية الموروثة ، والتعاليم الاخـلاقية . وعن العادات المشتقة من الأبوين ، والمربين وعن أوامرهم ونواهيهم

فيظهر من كل هذا ان الأنا هو الجزء المهذب من النفس لأن كلا من الهو والأنا والأعلى يضغطان عليه ، هـذا بطلباته الشهوانية الهمجية ، وذاك بطلباته المثالية الرفيعة .. ومن الطبيعى أن الانا يقف حائراً بين هذه الأصوات المرعبة التى ترن فى أذنه فلا يؤمل له الفلاح الا اذا تمكن من ايجاد توازن فى نفسه بين هذه الدوافع والأصوات .. فان لم يجد توازنا بين هذه الدوافع . فأن العاقبة ستكون وخيمة عليه .

وعناصر النفس عند الغزالى ثلاثة كذلك : ولكن يجب أن نصرح ، أن جوهر التقسيم مختلف بينه وبين فرويد .. وهى :

١ — الأمارة بالسوء من النفس : ويراد بها ذلك القسم من النفس « الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الانسان » (٥) والتى « تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعى الشيطان وهى مذمومة غاية الذم ... لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فأنها مبعدة عن الله ، وهى من حزب الشيطان ، وما ابرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء » (٦)

٢ — اللوامة من النفس .

ويراد بها ذلك القسم من النفس الذى « لم يتم سكونه ، ولكنه صار مدافعا للنفس الشهوانية ومعترضا عليها ، لأنه يلوم صاحبه عند تقصيره فى عبادة مولاه » (٧) والنفس اللوامة محمودة « لأنها نفس الانسان أى ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات (٨)

٣ — المطمئنة من النفس

وهى التى سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب ممارضة الشهوات » (٩) وهى لطيفة ربانية روحانية . وهى المدركة من الانسان ، والمخاطبة ؛ والمعاتبة ، والمعاقبة والمطالبة . جريانها فى البدن وفيضانها فيه ، يضاهى فيضان النور من السراج الذى يدار فى زوايا البيت ، فانه لا ينفى الى جزء من البيت الا ويستنير به (١٠)

ولا يضاح علاقة هذه الأقسام الثلاثة من النفس ببعضها ، يورد الإمام الغزالى عدة أمثلة ، نقتبس منها مثالا واحداً ... توضح به العلاقة القائمة بين هذه الأقسام من النفس :

« ان مثل نفس الانسان أعنى النفس اللطيفة — أو «الانا» على حد تعبير فرويد — كمثل ملك فى مدينته ومملكته ، لأن

١ — ص ١٨ . علم النفس الجنائى : أحمد خليفة
٢ — ص ١٥ علم النفس الجنائى والتقفى : أحمد خليفة
٣ — ص ١٤ علم النفى الجنائى والقضائو — أحمد خليفة
٤ — ص ١٦ علم النفس الجنائى — للاستاذ أحمد خليفة

٥ — ص ٣ — ج ٣ الأحياء للغزالى
٦ — ص ٤ — ج ٣ أحياء علوم الدين للغزالى
٧ — ص ٤ — ج ٣ — الأحياء للغزالى
٨ — ص ٤ ج ٣ الأحياء للغزالى
٩ — ص ٤ ج ٣ — الأحياء للغزالى
١٠ — ص — ٣ — ج ٣ الأحياء للغزالى

صه أيها الشباب :

خـــذلان

يا صديقي العزيز:

لشد ما أتألم حين أتصور وجهك الهادىء المنبسط تنضنه يد الألم ، ووجهك الهادىء الساكنة تعصف بها نوبة من الشجن المرير وأنت تقرأ هذه الخطاب ! ... ولشد ما يزداد ألمي حين أذكر أنني كاتب هذا السطور وباعث هاته الآلام ! !

أنا يا عزيزي ذلك الإنسان الذي كان يحشد لك في رسائله كل رائع وجميل، ويقطف البسمات من ثغور الناس ليحيلها إلى كلمات تبعث المسرة في نفسك، وتوقظ النشوة في عواطفك، وتحمل إليك من معرض السعادة أجمل الصور وأنضر الألوان ! !

ولكن الذي يشجعني أيها العزيز أن ما أذكره الآن حقائق لها في دنيا الشعور رصيد كبير، وما أجدرنا أن نحترمها مهما كانت قاسية ! !

يا صديقي العزيز ما أظن أن فترة في تاريخ صداقتنا التالية تظفر منك بالاهتمام والتقدير مثل تلك الفترة التي كنا نعمل فيها جادين للدخول مسابقة أدبية عقدتها إحدى الهيئات الثقافية بالقاهرة !

لقد كنا إذ ذاك في لغة الطبيعة نسرين لا يفترقان غير الأفق، ولا يجيدان سوى التحليق ؛ وفي لغة الصداقة قلبين عرف الحب فيهما نعمة الخلود، وعرف الوفاء بهما نعمة البقاء، وكنا كما شاءت لنا أحلام الشباب، وما أروع ما تشاء تلك الأحلام وتريد !

وما أظن أن يوما في تلك الفترة ترعاه ذكراك مثل ذلك اليوم الذي كنا نتسابق فيه إلى بائع الصحف لنقرأ رأي لجنة التحكيم في نتاجنا الأدبي الباكر !

لقد تخاطفنا الجريدة إذ ذاك من يد البائع وراحت نظراتنا تنهب صفحاتها في سباق جنوني ... وتحت عنوان خاص تلاقت نظرتان : أما نظرتك فقد استحالت إلى إطار من الأمل المشرق يضم في حناياه ذلك الاسم المحبوب الذي يزهو في قائمة الفائزين؛ وأما نظرتي فقد ارتدت مذعورة لتدفن رأسها في قميص من

البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ؛ وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعمال ، والقوة العقلية — أي النفس المطمئنة « أو الانا الأعلى » على حد تعبير فرويد .. له كالمشير الناصح والوزير العاقل .. والشهوة .. أي للنفس الأمارة بالسوء أو « الهو » على حد تعبير فرويد .. كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة . والغضب والحمية له كصاحب الشرطة . والعبد السوء « الهو » الجالب للميرة ، كذاب خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح، وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل ، وديدنه ومادته منازعة الوزير الناصح (أي الأنا الأعلى » في آرائه وتدبيراته ، حتى أنه لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة . كما أن الملك في مملكته اذا كان مستغنيا في تدبيراته بوزيره ومستشيراً له ومعرضا عن اشارة العبد الخبيث مستدلا بأشارته ، على أن الصواب في نقيض رأيه حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومأموراً مدبراً لا أميراً مدبراً استقلم أمر بلده وانتظم العدل بسببه .

كذلك النفس متى استعانت بالقوة العقلية المدركة (المطمئنة أو « الانا الأعلى» وأدبت حمية الغضب وسلطتها على الشهوة ، واستعانت باحداهما على الأخرى .. تارة بأن تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها. وتارة يقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها ، اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ، ومن عدل عن هذه الطريقة ، كان كمن قال الله تعالى فيه «أرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم(١)

فلست أدري ، بعد هذا .. هل أنا مصيب في قولي ان النزالي قد تطرق الى التقسيم الثلاثي للنفس قبل أن يتطرق إليه فرويد أم لا ؟!

نور الدين رضا الواعظ

كلية الحقوق . بغداد

---

١ — س ٦ — ج ٣ — أحياء علوم الدين — للغزالي

الدموع .. الدموع التي أرسلها قلبي لتنوب عنه في مأتم الخذلان !!

آه يا صديقي لقد جفت دموعي إذ ذاك والتفت إليك وعلى ثغري ابتسامة قلقة هي أشبه ما تكون بممثل يصعد خشبة المسرح لأول مرة ! ! ورحت أشد على يدك في حرارة بل ، وامتد ثغري إلى جبينك يترجم التهنئة إلى لغة القبلات !

آه يا صديقي لقد عدت أنت إلى منزلك لتضيف إلى أمجادك صفحة باسمه ، وانزويت أنا في منزلي أتلمس معاني الخذلان في هذا الوجود ! !

* * *

النجوم تتراءى أمام عيني وكأنها تستعطف الليل أن يسدل عليها أستار الغيوم .. أجل فلا شك أنها تستشعر الخذلان أمام هذا البدر المشرق الذي لايفتأ يزهو عليها بأضوائه الألاقة الزاهية .

ولكن ألا يجوز أن يكون هذا البدر هو الآخر مخذولا ينشر العزاء في رحاب الليل ، وأن تكون تلك النجوم دموعه الحارة الذليلة ! أجل فلاشك أنه يستشعر الهوان إلى جانب الشمس تلك التي لا تزال تميس بأنوارها كلما أقبل النهار .. أيها الليل إنني أنا الآخر مخذول ! ألا يوجد لديك مكان يسعني لأذرف فيه دموعي ! !

تلك يا صديقي هي الخواطر التي كنت أتقلب على لظاها في ذلك المساء القلق حتى حمل إلى البريد صباح ذلك خطابا منك كان ولا شك آثرا من آثار تلك الأحلام التي أغفت أفكارنا الشابة في رحابها الرخية الوارفة ! ! وها أنت ذا تقول في خطابك : « الآن يا صديقي آمنت أن الصداقة تفعل المستحيل » إنها السائل العجيب الذي يستحيل فيه الصديقان إلى إنسان واحد ، وتستحيل فيه آمالهم الرحيبة إلى أمل واحد ! أجل يا أخي لا تتردد في قبول ذلك الرأي فأنت أول دليل التمسه له . ألم أفز أنا وتخفق أنت في مسابقة واحدة ، وبالرغم من ذلك كنت أحس النشوة الغامرة ترعش أناملك وأنت تشد على يدي والفرحة الفائرة تلهب شفتيك وأنت تقبل جبيني .. لقد كنت أود أن أشكرك أيها العزيز ولكني سوف أشكر الصداقة — الصداقة التي تفعل المستحيل ! ! » .

وهنا يا عزيزي يحزنني أن أقول لك أن هذه الحرارة التي تحدثت عنها لم تكن إلا حرارة القلب الذي يحترق ، وأن هذه الرعشة لم تكن إلا رعشة الطائر الذبيح ، وأن اسمك الكريم ، اسمك الذي كنت أهتف به حين أراك مثلما يهتف العاشق بأغنية كانت ترددها حبيبته .. اسمك هذا لم يكن ثقيلا على نفسي مثلما كان ذلك اليوم . لقد خيل إلي أنه اغتصب ذلك المكان الذي كنت أهيئه لاسمي أنا وتربع فيه ولكني على أنقاض أمل نضير ! !

أنا أحبك يا صديقي ؟ هذا لا شك فيه ، ولكني قبل ذلك أحب نفسي . تلك هي الحقيقة التي ضلت طريقها إلى قلوبنا وتركتها تعبد الوهم في دير الأحلام !

حسب الصداقة يا أخي أنها أحالت ذلك الشعور بالخذلان ، ذلك الشعور الذي يلون الوجود بألوان المقت والكراهية حسبها ، أنه تحيله إلى بسمات لا يفيدنا أن تكون مسرحية ؛ فالواقع يا صديقي أن العالم مسرح كبير !

المنصورة محمد أبو المعاطي أبو النجا

دفاع عن البلاغة

للاستاذ احمد حسن الزيات

كتاب يمرض قضية البلاغة العربية أجل معرض ويدافع أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، والذوق ، وآلة البلاغة ... الخ

والذوق من فصوله المبتكرة المعروفة ، العامية الأسلوب ، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغه من هؤلاء وأولئك ... الخ

يقع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد

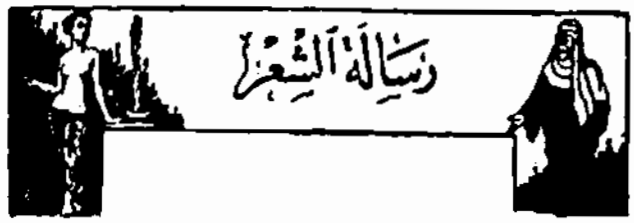

أشواق حائرة !.

للانسة فدوى طوقان

ماذا أحس ؟ هنا، بأعماق ... ترتج أهوائى وأشواق
بى ألف إحساس يحرقنى ... متدافع التيار ، دفاق
ألف انفعال ، ألف عاطفة ... محمومة بدمى ، بأعراق
ماذا أحس ؟ أحس بى لهفاً ... حيران يغمر كل آفاقى
جفت له شفتاى وارتعشت ... أظلاله العطشى بأحداق

...

نفسى موزعة ، معذبة ... بحنينها ، بغموض لهفتها
شوق إلى المجهول يدفعها ... متقحماً جدران عزلتها
شوق إلى ما لست أفهمه ... يدعو بها فى صمت وحدتها
أهى الطبيعة صاح عانقها ؟ ... أهى الحياة تهيب بابنتها ؟!
ماذا أحس؟شعور تائهة ... عن نفسها تشقى بحيرتها !.

...

قلبى تفور به الحياة وقد ... عمقت ومدت فيه كالأمد . .
فتهز أعوارى نوازعه .. ... صخابة ، دفاقة المدد . .
ويظل منتظراً على شغف .. ... ويظل مرتقباً على وقد . .
أحلام محروم تساوره ... متوحد فى العيش منفرد !
ويود لو تمضى الحياة به ... للحب، مصدر فيضها الأبدى!

...

وهناك نوى،لى السماء وبى ... شوق إليها لاهف عارم
فأحس إحساس الغريب طغى ... ظمأ الحنين بروحه الهائم
وأرى كواكبها تعانقنى ... بضيائها المتوجرج الحالم
تهمى على روحى أشعتها ... وتلفه بجناحها الناعم
فأود لو أفنى وأدمج فى ... عمق السماء ونورها الباسم !

مالى يزعزعنى ويعصف بى ... قلق عتى ، جائع الألم
تتضارب الأشواق حائرة ... فى فوررروحى،فى شعاب دمى
الأرض تعلق بى وتجذبنى ... وتشد قبضتها على قدمى !
وهناك روحى هائم شغف ... بالنور، فوق رفارف السدم
مستحقر للأرض تفزعه ... دنيا التراب وهوة العدم !

...

روحى يلوب بدار غربته ... عطشاً إلى ينبوعه السامى
فهناك أصداء يسلسها ... صوت السماء بروحى الظامى
وهناهنا فى الأرض يهتف بى ... صوت يقيد خطو أقدامى
صوتان ، كم لجلجت بينهما ... يتنازعان شراع أيامى
وأنا كيان تائه..قلق.. ... يطوى الوجود حنينه الطامى!..

نابلس — فدوى طوقان

الى الحبيب

للشاعر الشاب طالب الحيدري

صاحب « ألوان شتى »

إلى القدح الذى تحطم على شفتى
إلى الوتر الذى أغفى على يدى
إلى الريم الذى الهمنى ديواناً من الشعر
إلى الذى قال: أنا لك.. وسرعان ما انقلب!

هموم نفسى تكاد تقتلها ... فهل لقاء به أعللها ؟
إن غراماً أقام فى كبدى ... أقسم بالله ليس يرحلها
آمنت أن القلوب أبردها ... أقفرها من هوى وأعطلها
وأن أفكارنا التى صدئت ... يرهفها حبنا ويصقلها
وأن هذى الجسوم أصدقها ... صبابة فى الغرام أنحلها
ما الجفون اللاح أفترها ... أصرعها للفتى وأقتلها !
وليلة بتها على ملل ... غيرى من الناس ليس يحملها
شهرتها: لا السكون يغمرها ... ولا هلال الدجى يكللها
وسادتى : والأنين يحرقها ... يطفئها الدمع إذ يبللها
يا هاجرى لو وصلت لازدهرت ... نفس على الملتقى معولها
تلك الليالى هل ستذكرها ... ذاكرتى أم أنت سوف تغفلها؟

لي طلعة أثر السهاد بها والهجر حتى لكدت تجهلها
أبعد هذا الغرام تهجرني خابت إذن ساعة أؤملها
تحمل النفس فوق طاقتها تفديك تلك التي تحملها

. . .

عدت على العكس لا الهوى قبل نعلها بيننا وننهلها
ولا الليالي كالعهد ساهره نعطمها لذة ونقتلها
ولا الأحاديث كلها أمل يسكرنا عذبها وسلسلها
ولا الأويقات وهي غالية نشربها بيننا ونأكلها
ولا المواعيد وهي باسمة في الليل أو في النهار نجعلها
ولا الترانيم وهي راقصة نبعثها في الهوى ونرسلها
ولا الأماني التي نحققها ولا الصعاب التي نذللها
ولا العيون التي نكحلها ولا الخدود التي نقبلها
نفسي وهي التي أضن بها بل وعلى غيرها أفضلها
ثق أنني في الهوى أقدمها وفي سبيل اللقاء أبذلها
نفسي فدى خصلة مجعدة كان نسيم الصبا يرجلها
نفسي فدى ريقة معطرة أرشفها خمرة وأنهلها
كأنها والعبير يغمرها حديقة قد ذكا قرنفلها
نفسي فدى مقلة معربدة يشملني سحرها ويشملها
كنت إذا استغرقت أهدهدها كطفلة أمها تدللها
نفسي فدى وجنة موردة كنت متى أشتهي أقبلها
بحمرة الجلنار أصبغها بماء ورد الرياض أغسلها

. . .

صلني فنفسي يكاد يسقمها هجرك، لا، بل يكاد يقتلها
علمت نفسي بالصبر مجتهداً هيهات فالصبر لا يملها

بغداد طالب الحيدري

اللقاء الاخـــير

للشاعر الروسي ايفان تورجنيف

ترجمة الآنسة سلوى الحوماني

كنا حبيبين سعيدين ... ثم جاءت اللحظة المشئومة فافترقنا كالأعداء .

وكرت سنون عديدة . وفي ذات مرة ، عند ما كنت أزور المدينة التي يسكن فيها حبيبي، علمت أن اليأس من لقائي قد حطمه

ذهبت إليه ، ودخلت عليه ،وتلاقت أعيننا .

ولأيا استطعت أن أعرفه . . يالله ! أي مرض خبيث قد هصر حبيبي ؟ .. شحوب .. ارتعاش .. ذبول

ورأيت جسم حبيبي يذوب تحت ثوبه المهلهل

بدا لي في قميصه الممزق كأن جسمه الواهي لا يستطيع تحمل ضغط الثوب .. وبجهد مد إلى يده المرتعشة التي تنوء بحمل عظامها ، ونفث بضع كلمات غامضة .. خـــرجت حائرة تتعثر بين السلام والملام

وكان لهاثه يكاد يمزق صدره الهزيل المضنى . . وكذلك انسانا عينيه تقلصا حتى كادا أن يتلاشيا

وتفصدت من عيني حبيبي الذاويتين عبرتا أن تكسرتا على وجهه الشاحب

انفطر قلبي لرآى حبيبي . وجلست الى جانبه يتنازعني الألم والرعب من شبح المرض الجاثم عليه .

وداخلني شعور عميق بأن هذه اليد التي تصافح يدي ليست يد حبيبي . وخيل إلي أن امرأة طويلة كاللانهاية . صامتة كالأبدية ، باهتة كالعدم تجلس بيننا . . هي ملتفة من رأسها لقدميها بكفن كبـــير . عيناها الحادتان الغائرتان الشاحبتان تحدقان في الفضاء، وشفتاها الصارمتان المطبقتان الباهتتان لا تنفرجان عن كلمة . هذه المرأة لمست أيدينا .. ووقفت بيننا إلى الأبد

نعم هو الموت الذي وقف بيننا !

سلوى الحوماني

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

بهرة الجيل الجديد في الأزهر

نشرت في العدد الأسبق من « الرسالة » ما تلقيته من الطالب « ضياء الحائر بكلية الشريعة » متضمنا شكواه من كتب الدراسة الأزهرية . ولم أتوسع في التعليق عليها ، انتظارا لما عسى أن يبدى من آراء ووجهات نظر تنير جوانب الموضوع ونستطيع أن نتبين في ضوئها اتجاه الرأى العام الأزهري فيه

ولم ألبث حتى جاءت الرسائل تترى من الطلبة ، تعبر عن الارتياح لإثارة الموضوع ، وتهيب بي أن أجيل القلم فيه ، وتفيض بالألم والشكوى مما يعانونه منها . وكتب بالعدد الماضي من « الرسالة » اثنان يعطفان على « ضياء الحائر » ويؤيد انه فيما أبداه ، كما كتب الأستاذ سليمان دنيا مقالا عالج فيه الموضوع على نحو يقوى جانب تلك الكتب ، وسيأتي الكلام على ما تضمنه هذا المقال بعد النظر في رسائل الطلبة الذين يستصرخون ، وهم الجيل الجديد الحائر الذى ينبغى أن يتوجه الاهتمام إليه ، عسى أن يؤخذ بيده ليسير نحو مستقبل يرجى له وللثقافة الاسلامية على العموم .

يقول « ص . ا . ج بمعهد طنطا » في رسالته الطويلة : « قرأت اليوم العدد ٧٨١ من مجلة الرسالة وتصفحت خطاب الأستاذ الحائر فشممت منه رائحة العواطف المحترقة والمشاعر المحتضرة ، واطلعت على تعليقك على كلمة (الحائر) وأغلب ظني أنها من الحيرة التي تكتنفنا جميعا وكان الواجب عليه أن يعبر بلفظ (الحائرون) لأن البلية طامة » وينقل إلى عبارات من الكتب المقررة منها ، ما قاله صاحب النهاية المقررة على طلبة السنة الثانية الابتدائية بعد أن عرف التيمم : « والأصل فيه آية وإن كنتم مرضى أو على سفر وخبر جعلت لى الأرض مسجدا وتربتها طهورا » وسوغ الاستدلال بهذا الخبر قرينة سياق الامتنان

لا يفوتكم أن تزوروا

متحف فؤاد الأول

لسكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

(أمام مخزن بضائع محطة مصر)

لتشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية في مختلف الأزمان ولتروا أكبر وأدق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل في مصر والخارج

المتحف مفتوح لزيارة كل أيام الأسبوع ما عدا أيام الاثنين والعطلات الرسمية كما يأتي : —

فصل الشتاء — من أول نوفمبر إلى آخر ابريل — من الساعة ٣٠ ٨ الى الساعة ٠٠ ١٤

فصل الصيف — من أول مايو الى آخر اكتوبر — من الساعة ٠٠ ٨ الى الساعة ٣٠ ١٣

رسم الدخول ٢٠ مليما

تليفون رقم : ٤١٩٦٤

وكذا الانتقال إلى التخصيص بعد العموم إذ مفهوم اللقب مع القرينة حجة كما صرح به الغزالي» ومنها ما جاء في كتاب آخر « ولضاب الذهب الخالص ولو غير مضروب عشرون مثقالا وهو لم يتغير جاهلية ولا إسلاما والمثقال اثنتان وسبعون حبة وهي شعيرة معتدلة لم تقشر وقطع من طرفيها مادق وطال » ثم يقول: « وليس الأمر مقصورا على كتب الفقه ، وإليك عبارة من كتاب البلاغة بالنص: (فإن قيل هو أي وجه الشبه مشترك فيه ضرورة اشتراك الطرفين فيه فهو كلي ضرورة أن الجزئي يمتنع وقوع الشركة فيه والحسي ليس بكلي ضرورة أن كل حسي فهو موجود في المادة حاضر عند المدارك ومثل هذا لا يكون إلا جزئيا ضرورة فوجه الشبه لا يكون حسيا قط — قلنا المراد بكون وجه الشبه حسيا أن أفراده أي جزئياته مدركة بالحس كالحمرة التي تدرك بالبصر جزئياتها الحاصلة في المواد) أواه ! أواه من أي التفسيرية وما فعلت به قولنا وما أنهكت من جسومنا وهدت من قوانا إن كان قد بقي فينا شيء من قوة !»

ولا أريد أن أطيل بعرض محتويات بقية الرسائل، وهي من « أحمد السيد خضر طالب بكلية الشريعة » و « فتحي محمد عبد الحافظ بمعهد طنطا الثانوي » و « السيد عوض محمود الجعفري بمعهد فاروق الثانوي » و « رفاعي خاطر بكلية الشريعة »

وكلها تعبر عن القلق والحيرة والألم ، وتفصح عن التطلع إلى التعديل والاصلاح ومسايرة الزمن ، وعما يقوله الطالب فتحي عبد الحافظ « هذا رأينا نحن الطلاب وأما رأي أساتذتنا الأفاضل فيكفيك أننا كنا نقرأ هذا الموضوع أمام أحد الأساتذة الأجلاء فكان جوابه أن هذا كلام ليس له ظل من الحقيقة ، وحجته في ذلك أن هذه العلوم المعميات تفتق الذهن وتوسع مدارك الفهم ، وكيف نأخذ رأي أستاذ عاش هذه الكتب طول حياته وأصبحت هي غذاءه الوحيد ؟ »

وأنا والله لا أدري كيف تفتق تلك المؤلفات الذهن وتوسع مدارك الفهم ! كيف يدرك الطالب في السنة الثانية الابتدائية أن الذي سوغ الاستدلال بالخبر قرينة سياق الامتنان إلى آخر ما صرح به الغزالي .. حتى يكون ذلك مدعاة إلى تفتيق ذهنه وتوسيع مداركه ؟ ثم ما « لضاب الذهب » الخالص مضروبا أو

كشكول الأسبوع

□ لا يزال معالي الدكتور طه حسين بك يسعى في تقرير معاش لأسرة المرحوم المازني ، ومما يؤسف له أنه وحده الذي يعمل لذلك ، والمسألة ليست مسألة المازني وأبنائه فقط بل هي مسألة الأدباء وحقوقهم ومصالحهم وتأمين حياتهم وحياة أولادهم من بعدهم . ولا تكفي جهود فرد وحده مهما كان نفوذه ، مالم يجد سنداً من الطائفة التي يدافع عنها ، ومما يؤسف له أيضا أن الأدباء هم الطائفة الوحيدة التي ليس لها شمل ملتئم . وهم في البلد الذي تنال فيه الحقوق بقوة الجماعات . فمتى ترى الادباء نقابة كغيرهم ؟ ولعل عميدنا يذكر دعوته إلى ذلك ، وليته يستطيع أن يحقق المعجزة .

□ أجلت مناقشة الرسالة المقدمة من السيدة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطىء » للحصول على الدكتوراه في الأدب من جامعة فؤاد الأول ، لأن المسؤولين توقعوا ازدحام الطلبة وغيرهم في حضورها وما قد ينشأ عن ذلك من شغب . ولا نذيع سرا إذا قلنا إن الرسالة قد تناقش سرا ...

□ يشكو المدرسون المصريون المنتدبون للتدريس بمدارس الحجاز من تأخر صرف مرتباتهم عدة شهور . وهذا أمر يؤسف له لأنه — على الأقل — يثبط هم المدرسين الذين يرغبون في العمل بالقطر الشقيق .

□ قررت وزارة المعارف تخفيف مناهج التعليم الثانوي ومن ذلك أن يعفى التلاميذ والتلميذات في جميع سنى الدراسة التي فيها كتب إضافية للمطالعة من الامتحان التحريري في تلك الكتب ، ويوجههم المدرسون إلى قراءتها في أوقات الفراغ ثم يناقشونهم فيما قرأوه في بعض دروس المطالعة والإنشاء

□ كتب الأستاذ منصور جاب الله في «المصري» مقترحاً على أعضاء المجمع اللغوي ترشيح عضو سوداني من المعروفين بسعة الاطلاع في اللغة والأدب، في أحد الكرسيين الخالين به.

□ قرأت كلمة صديقي الأستاذ الزحلاوي وطبيعي أن يدافع عن نفسه ويبدي وجهة نظره كما يريد . ولكن لست أدري لماذا جشم نفسه أن ينفي عني فضلا لم أدعه ... أما ردي على ما تضمنته الكلمة فقد ضاق عنه المقام في هذا العدد ، فإلى العدد القادم :

□ نظمت الجامعة الشعبية بدمنهور مباراة أدبية لاعداد رواية تمثيلية شعرية لمناسبة عيد الجلوس الملكي ، واشترطت عدم وجود العنصر النسوي في أشخاص التمثيلية . وكان ينبغي أن تكون المباراة في أي لون آخر من ألوان الأدب ما دام هذا الشرط .

غير مضروب ، وما الشعيرة المعدلة التي لم تقشر وقطع من طرفيها ما دق وطال ؟ ما هذا وأمثاله ، مما وضع في العصور الماضية ، من أفهام ناشئين في القرن العشرين بمصر حيث يتعامل الناس بالجنيه والقرش والمليم ! وهذه البلاغة من قال بأنها بلاغة وصاحبها لا يكاد يبين ؟

هل المقصود من دراسة تلك المؤلفات ما فيها من علم أو هي نفسها المقصودة ؟ فاذا كان العلم هو الغرض فلماذا يصرون على حبسه بين جدرانها المقفلة ، ولماذا لا يستخرج ما فيها من (الخير الكثير) ويجلى لأهل العصر في أسلوب العصر ، ويوجه الجهد الذي يبذل في فهم العبارات الغامضة إلى ألوان المعرفة المتعددة أو إلى التطبيق على مسائل الحياة العصرية الواقعة

يذهب الأستاذ دنيا إلى أن (الخير كل الخير للأزهر في أن تكون دراسته مستوعبة تتناول المؤلفات منذ عرف المسلمون التأليف والتدوين ، تدرسها وتتبين أسلوبها ومنهجها وموضوعاتها) ويقيس ذلك بأن العلماء من غير الأزهريين يدرسون الانسان الأول في عصور ما قبل التاريخ ليعرفوا أسلوب تفكيره وطريقة بحثه والموضوعات التي استرعت انتباهه فأخضعها لتفكيره وبحثه الخ . فهل يريد الأستاذ أن يدرس الطلاب جميعا من البدء إلى النهاية على نمط أساتذة قليلين ممتازين بدراسات خاصة ؟ وهل يريد أن تكون الدراسة بالأزهر كلها تاريخ مؤلفات وطرائق مؤلفين !

نحن أمام علوم ذات حقائق معينة ، فهل ندع هذه الحقائق لندرس عبارات المؤلفين ونجهد في تفسيرها أو نعمد إلى الحقائق نفسها فنكشف عنها وندنيها من الأفهام والعقول وننميها بإضافة ما استحدث بعدها ؟ القد عالج الأستاذ الموضوع معالجة فيلسوف يجلس في البرج العاجي ، معالجة بعيدة عن الواقعية والأغراض التربوية .

سألت في كلمتي السابقة : « هل انتفع الأزهريون بما حصلوه من العلوم الحديثة وما رأوه من طرائقها في ثقافتهم الأزهرية الأصيلة ؟ » وأنا لا أقصد السؤال عن فائدة العلوم الحديثة في ذاتها ، كما فهم بعض من كتبوا إلي ، وإنما أعني أثرها في عرض العلوم الشرعية والعربية بالأزهر ، ولماذا لم يحتذ الأساتذة الأزهريون حذوها في تأليف علومهم بحيث تكون قريبة المنال ملائمة للعصر داعية إلى التجاوب فيها مع البيئات الأخرى . إن هذه العلوم الحديثة روافد للتثقيف العام بالنسبة للأزهريين ، وقد جرت في الأزهر ومعاهده على أيدي المصلحين المصريين ، فاستفادوا منها ولا شك ، ولكن لا يزال بينها وبين العلم الأزهري الصميم من شريعة ولغة حاجز قائم ، إذ لا يزال هذا العلم على حاله القديم لم يتأثر بطرائق العلوم الحديثة . وأنا أعتقد أن باب الاصلاح الحقيقي في الأزهر ما زال مغلقا ، ولم تدخل شمس الاصلاح الحديث إلى ذلك العلم الأزهري الصميم إلا من كوى ضيقة ، نفذت هذه الشمس إلى النحو قليلا ، فلم يعد الطالب يبدأ بإعراب (بسم الله الرحمن الرحيم)

أما علوم الشريعة وما يسمونه (بلاغة) فلا تزال في ظلام دامس من طرائق العصور الماضية التي لا تتفق مع العصر الحاضر

والأمر كله يتلخص في أمرين ، الأول الكتب القديمة المعقدة التي يفرض إدراك مراميها الخفية المستعصية على طلاب يتلقون معارف كثيرة ، مختلفين عن أسلافهم على الأقل في أن الأسلاف كانوا متفرغين لها غير مطالبين بتحصيل ما جد من العلوم والمعارف ، والأمر الثاني هو وقوف العلماء المحصلين لهذه الكتب أنفسهم عندما وقفوا عليه منها ، معرضين عن تنميتها بما يلائم واقع الحياة الحاضرة .

ولا يقتصر ضرر ذلك على طلبة الأزهر ، بل هو يمتد إلى المحيط الاسلامي كله ، لأن استغلاق الدراسة الاسلامية في الأزهر يباعد بين هذه الدراسة وبين المتعلمين في خارج الأزهر لأنهم يجدونها صعبة المنال بل مستحيلة التحصيل ، فكان من ذلك انفصال عقلية المتعلمين المسلمين من غير الأزهريين عن الحقائق الإسلامية . وهذا من أسباب عدم التجاوب بين المجتمع وأبناء الأزهر .

بعد كتابة ما تقدم وصلتني رسائل من حضرات (جمعة الباكي بكلية الشريعة ومحمد عبد العزيز عمر طالب بمعهد أسيوط وعبد الصبور الفندور ومحمد السعيد بكلية الشريعة) ويظهر أن ما تضمنته سيحملني على معاودة الكتابة في الموضوع . وعلى ذلك يعتبر الباب مفتوحا ...

مسابقة المجمع اللغوى :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية باعلان نتيجة مسابقته الأدبية لسنة ١٣٤٩ — ١٩٥٠ بدار الجمعية الجغرافية الملكية يوم الأحد الماضى فألقى الأستاذ ابراهيم مصطفى كلمة عبر فيها عن سرور المجمع بهذا اليوم الذى يعد من أيامه ومواسمه . وتحدث عن مكافأة المجمع على الانتاج الأدبى فقال إنها كانت فى أول الأمر هبات من نفوس كريمة ثم رصد لها المجمع فى ميزانيته ٨٠٠ جنيه كل عام . ثم تحدث عن موضوعات هذه المسابقة فقال إنها كانت تشمل القصة والبحث الأدبى ، فأما القصة فان المجمع لم يتلق من آثار المتنافسين ما يرضاه لسمو هذا الفن . وأما البحث الأدبى فقد شمل تحقيق كتب عربية قديمة وقد فاز منها أربعة حققها دارسون مجدون قادرون ، وفاز فى الدراسات الأدبية بحث عن « رفاعة الطهطاوى » وهو أحد الموضوعين اللذين حددهما المجمع ليلتفت بالكاتبين إلى درس أدبنا الحديث .

وقد عرف الأستاذ بالكتب المحققة الفائزة ومكانتها الأدبية ، كما عرف برفاعة الطهطاوى موضوع الدراسة الفائزة ثم أعرب عن اغتباطه بفوز السيدة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) قائلا إنها أول فائزة بجائزة من المجمع . وقد فات الأستاذ أن أول فائزة بجائزة من المجمع هى السيدة سهير القلماوى على بحثها فى العدليلة وليلة . ثم قال إنه يأمل أن يجد فى المجمع اللغوى زميلات يعملن مع الأعضاء العاملين ... ولعل الأستاذ يتيح بذلك للسيدات المطالبات بالحق السياسى أن يطالبن أيضا بالحق اللغوى ... ولعلهن بعد أن ينلن هذا الحق يرضين عن نون النسوة التى كن يطالبن المجمع اللغوى بالغائها ...

ولم يدع الأستاذ ابراهيم مصطفى النحو ، أو لم يدعه النحو ، فعندما أراد أن يزجى التهنئة إلى الفائزين جعل يخرج كلمة « تهنئتى » هل من إضافة المصدر إلى فاعله أو من إضافة المصدر إلى مفعوله ، وعلى هذا الاعراب يكون المعنى (تهنىء أنفسنا)

ويلاحظ أن الكلمة فى مجموعها كانت « سائحة » إذ لم يوجه الاستاذ همه إلى ناحية أدبية يأتى فيها بغير مايشبه تقارير اللجان ، ومن أمثلة هذه الناحية ما ألقاه الدكتور طه حسين بك فى تقديم إحدى المسابقات الماضية عن « البحث الأدبى » وما ألقاه الأستاذ العقاد فى تقديم إحداها عن « مدارس الشعر المعاصر » وما ألقاه المرحوم الأستاذ المازنى فى إحداها أيضا عن « الشعر الوسط »

وبعد أن فرغ الأستاذ ابراهيم مصطفى من كلمته ، وقف الأستاذ عبد الفتاح الصعيدى مراقب المجمع فأعلن نتيجة المسابقة كما يلى :

١ — يمنح الأستاذ عبد السلام محمد هارون الجائزة الأولى المخصصة للنشر والتحقيق وقدرها مائتا جنيه عن مجموع جهوده القيمة فى تحقيقه ونشره لكتابى الحيوان للجاحظ ومجالس ثعلب لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب .

٢ — يمنح جائزة ثانية للتحقيق والنشر قيمتها مائتا جنيه على أن تقسم مناصفة بين السيدة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) لتحقيقها ونشرها رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ، وبين الأستاذ طه الحاجرى لتحقيقه ونشره كتاب البخلاء للجاحظ ، تقديراً لما بذلاه فى تحقيقهما من مجهود .

٣ — يمنح الأستاذ أحمد أحمد بدوى الجائزة المخصصة لأحسن دراسة لرفاعة الطهطاوى بك وأثره فى وضع المصطلحات الأدبية ، وقدرها مائتا جنيه عن بحثه « رفاعة الطهطاوى بك » تقديرا لما بذل فيه من جهد قيم .

عباس خضر

وزارة العـــدل

تعلن وزارة العدل عن فقد دفتر الزواج رقم ٢٧٨٩٨١ عملية مأذون البهسمون وهو مكون من عدد ١٥ وثيقة منهما واحدة بيضاء ببرانيتيها والباقى مكتوب وقد اعتبرت الوزارة الوثيقة المذكورة وبرانيتيها ملغاة فكل من تعرض عليه أو عثر عليها بأى الطرق أن يعلم بأنها لاقيمة لها وأن استعمالها يعد تزويرا ويعرض مستعمله للمحاكمة الجنائية .

٤٤٤٧

جنة الحيوان

تأليف الدكتور طه حسين بك

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

« الفن للفن » و « الفن لخدمة المجتمع » ، نظريتان تؤثران أعمق التأثير فيما ينتجه الأدباء والفنانون المعاصرون من ألوان الفن والأدب ، من حيث طبيعة هذا الإنتاج ، والمنابع التي ينبع منها ، والمؤثرات التي يتأثر بها ، والأهداف التي يهدف إليها . ولكل نظرية من هاتين النظريتين أدباء وفنانون يتشيعون لها ، ويخضعون في إنتاجهم لمناهجها المقررة ، ومبادئها المحررة ، وأهدافها المرسومة ، إن صح أن يخضع الفنانون والأدباء للمناهج والمبادىء والأهداف !

فالذين يذهبون في إنتاجهم مذهب الفن للفن يتسم إنتاجهم بالذاتية ، ويمتاز بالتجارب الخاصة . وهم لا يريدون بإنتاجهم شيئاً غير التنفيس عن مشاعرهم وأحاسيسهم بالتعبير عنها تعبيراً يكفل لأنفسهم الهدوء والراحة ، بعد القلق والعناء ، دون أن يقصدوا إلى إمتاع الناس أو نفعهم ، وإن كان أدبهم في ذاته يحقق بعض ذلك أو كله للناس .

والذين يذهبون في إنتاجهم مذهب الفن لخدمة المجتمع يعرضون في هذا الإنتاج لما يفيض به المجتمع الذي يعيشون فيه من المشكلات الكثيرة المتنوعة ، سواء أكانت هذه المشكلات مادية أم مذهبية أم نفسية . ولا يبغون من وراء ذلك إلا أن توجد الحلول المناسبة لهذه المشكلات ، فيتحقق بذلك نفع الناس ، وخدمة المجتمع . ولا يعنينا هنا أن نوازن بين أدب هؤلاء وأدب أولئك ، وإنما يعنينا أن نذكر هذين اللونين من ألوان الأدب والفن لنقول إن القراء يختلفون اختلافاً شديداً في الإقبال على هذا اللون دون ذاك ؛ فبعض القراء يؤثر اللون الذاتي الذي يحقق له المتعة النفسية الكاملة ، ويكلف به ، ويقبل عليه ، وبعضهم الآخر يؤثر اللون الاجتماعي الذي يجد فيه صدى قوياً لحاجاته المادية ، ومطالبه الاجتماعية ، ويعرض عن سواه مما لا يجد فيه شيئاً من ذلك .

نعم ، ولكن هناك لوناً فريداً من ألوان الأدب استطاع أن يلائم بين هاتين النظريتين ملاءمة قوية ناجحة ، فاستطاع بذلك أن يجمع هاتين الطائفتين المختلفتين من القراء على الإقبال عليه ، والإعجاب به ، والتشيع له ؛ لأنه جمع بين المتعة الفنية الكاملة التي يحققها التعبير الرائع ، والتصوير البارع ، والعرض الخلاب ، والمنفعة الاجتماعية التي يجلبها تصوير المشكلات الاجتماعية المختلفة تصويراً دقيقاً ، والدعوة القوية إلى حياة تقل فيها المشكلات إن لم تنعدم ، وتتحقق فيها العدالة الاجتماعية ، والحرية الإنسانية ، على نحو يرتفع بالحياة البشرية عن المستوى الذي نزلت إليه .

وهذا اللون نادر في أدبنا العربي المعاصر . ولا يوجد في هذا الأدب ما يمثل اللون الفريد النادر كما يمثله أدب طه حسين في كتبه الكثيرة المنوعة .

من هذه الكتب التي تمثل هذا اللون من ألوان الأدب ، كتاب « جنة الحيوان » الذي أخرجه عميد الأدب العربي للناس منذ قريب . وهذا الكتاب إنما هو صور نفسية دقيقة لبعض الشخصيات المعاصرة التي عرفها الكاتب العظيم معرفة خبرة وتجربة ، ثم صورها بقلمه الساحر القدير هذا التصوير الدقيق الذي يخلع عنها ما تصطنعه من العظمة ، وتتكلمه من المظاهر ، فتبدو أمامنا عارية إلا من مبادئها ونقائصها .

ومن خلال هذا التصوير الدقيق لتلك الشخصيات المعاصرة تظهر لنا الأفكار الإنسانية السامية ، والمبادىء الاجتماعية النبيلة التي يعتنقها الكاتب العظيم عن يقين وإيمان ، ويدعو إليها في قوة وإخلاص . وقد أصبحت هذه الأفكار والمبادىء في غنى عن التعريف بما أذاع عنها الأستاذ العميد ، ودعا إليها في الصحف والمجلات والمنتديات .

وموقف الكاتب من شخصياته التي يصورها في هذا الكتاب يختلف تبعاً لطبيعة هذه الشخصيات ، ومكانها من نفسه . فهو يسخر من بعضها سخرية مرة ، ويتهكم به تهكما لاذعاً ، كما

يبدو فى حديثه عن « ثعلب » و « الطفل » وأمثالها من الصور النفسية والنماذج البشرية . وهو يداعب بعضها مداعبة محرجة ، ويعاتبه عتاباً مؤثراً ، كما يبدو ذلك فى « حديث القلوب » وهو فى كل ما تحدث به فى هذا الكتاب ، صاحب القلب الإنسانى الكبير الذى يقول بعد أن يعرض لما تشق به بعض الأسر من دفع نفقات التعليم ، ولما يفعله بعض كبار وزارة المعارف الذين تعلموا على نفقة الدولة ، ثم يريدون أن يحرموا غيرهم من أن يتعلموا على نفقة الدولة كما تعلموا : « اللهم اشهد أنى ما ذهبت قط إلى الجامعة أو إلى وزارة المعارف إلا كانت هذه القصة ملء قلبى ، وإلا ذكرت أنى كنت سعيداً حين تعلمت على حساب الدولة ، فمن الحق على أن أتيح بعض هذه السعادة لأكبر عدد ممكن من شباب مصر : ولو استطعت لأتحتها لهم جميعاً . ومن يدرى فما لم نستطعه أمس قد نستطيعه غداً ، ولا بد أن يبلغ الكتاب أجله ، ولا بد لمصر من أن تظفر بحقها من العدل فى يوم من الأيام » .

هذه كلمات لا يقولها إلا من كان ممتلىء النفس بحب الانسانية ، قوى العزم على العمل لتحقيق العدالة الاجتماعية . بل هذا اعتراف لا يصدر إلا عن صاحب « الأيام » وأمثاله من ذوى العظمة النفسية ، والضمائر الحية .

وأسلوب طه حسين فى هذا الكتاب هو أسلوبه فى كل ما كتب ... أسلوب سهل المفردات ، واضح التراكيب ، ينساب فى حرية ، ويسترسل فى طلاقة . وميزة هذا الأسلوب كامنة فى موجاته الموسيقية الطويلة التى هى من خصائص الموسيقى التصويرية ، ولهذا استطاع طه حسين أن يصور بهذا الأسلوب ما يشاء من المشاعر والأفكار تصويراً دقيقاً رائعاً مؤثراً . ومن عجائب هذا الأسلوب أن القارىء حين يقرؤه يظن بنفسه القدرة على الاتيان بمثله ، فإذا حاول ذلك انقطع وتحير ، وأنه يحتفظ بكل خصائصه الفنية حتى حين يتناول مشكلات المادة ، وشئون المعيشة ، ومطالب الموظفين !

ونستطيع أن نقول إن أسلوب طه حسين هو خير نموذج للشعر الحر الذى يخلص من قيود الوزن الموحد ، والقافية المشتركة . ولهذا فقد استطاع صاحب هذا الأسلوب أن يجعل نثره شعراً ... شعراً موزوناً مقفى سواء أراد ذلك أم لم يرده ؛ فقد بدأ الفصل الذى عقده فى كتابه وسماه « الغانيات » بهذه العبارات المنثورة التى نفسقها تنسيق الشعر ، ونسميها « طيف » ، ونوردها فيما يلى :

من أين أقبلت يا ابنتى ؟ من حيث لا نبلغ الظنون !
ماذا تريدين يا ابنتى ؟ أقول مالا تصدرون !
كيف تقولين يا ابنتى ؟ أقول مالا تصدقون !
أسرفت فى الرمز يا ابنتى بل ما لكم كيف تحكمون ؟
وينظر الشيخ حوله فلا يرى من يحاوره
ويفكر الشيخ نفسه ولا شكوك تساوره
فقد رأى شخصها الجميل تظله هذه الغصون
ولم يزل صوتها الضئيل يثير فى نفسه الشجون
وكانت الشمس قد تولت كالأمل الخائب الكذوب
وظلمة الليل قد أظلت كاليأس إذ يغمر القلوب

أما بعد ، فخلاصة ما يقال فى هذا الكتاب أنه صور نفسية دقيقة لبعض الشخصيات المعاصرة ، وأنه يجمع بين التصوير الفنى الذى يحقق للنفس المتاع ، والهدف الاجتماعى النبيل الذى يجلب للناس الخير . ولهذا فقد لازم بين النظريتين المختلفتين ، وجمع بين الطائفتين المختصمتين !

وليس ذلك بعزيز على عبقرية طه حسين ، ومقدرته الفنية الفائقة .

ابراهيم محمد نجا

ابن المعتز

وتراثه فى النقد والأدب والبيان

سفر جديد ألفه الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى الأستاذ بكلية اللغة العربية ، ونشرته مكتبة الحسين التجارية بأرل السكة الجديدة بمصر لصاحبها محمود توفيق ، فى أربعمائة صفحة من الحجم الكبير على ورق أبيض مصقول

تناول مؤلفه فيه ، هذا العالم الفذ ، والشاعر العبقرى ، والكاتب البليغ ، والناقد الأديب ، والعالم المجلى فى حلبة العلم .

والعلماء ، والمؤلف الممتع فيما كتبه من مؤلفات وبحوث ؛ في تفصيل واسع ، وتحليل دقيق ، لحياته وشخصيته وشعره وأدبه وأثره في النقد والبيان

وهو أول كتاب في الأدب العربي ، يؤلف وينشر في حياة ابن المعز الخليفة العباسي م ٢٩٦هـ وآثاره الفنية والأدبية والعلمية ويمتاز بدقة البحث وعمق الفهم والاستنتاج وكثرة المصادر وتنوعها وتعدد ألوان التجديد في الدراسة الأدبية

وقد صدره مؤلفه بكلمة عن عهد الفاروق الزاهر ، وفيض رعايته وتشجيعه وعطفه على النهضة الفكرية والعلمية والأدبية في وطننا الخالد وفي شتى بلاد الشرق العربي

ولا شك أنه سفر نفيس ، جدير بالاهتمام وبعناية القارىء وحرصه على اقتنائه .

وفيات الاعيان لابن خلسكان

يعد هذا الكتاب موسوعة تاريخية قيمة ، ومرجع من أوثق المراجع في تراجم الشخصيات البارزة في التاريخ الاسلامي منذ فجره إلى القرن السابع . ويعد مؤلفه من خيرة من كتبوا في التراجم من حيث تحري الدقة في البحث ، والأمانة في النقل ، وذكر المراجع التي يأخذ عنها ، وعدم تحكيم عواطفه الخاصة في كتاباته . ولعل مرد هذه الخصائص يرجع إلى طول اشتغاله بالقضاء . غير أن هذا الكتاب قد أصابه من التحريف ، ووداءة الطبع ، وندوة نسخه ماجعل على قيمته ، ونال من مكانته ، كمرجع من أهم المراجع التاريخية للباحث . وقد توفر على مراجعة هذا الكتاب ، وتحقيق نصوصه ، وضبطها ، وشرحها ووضع فهارس له فضيلة الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد وتسنى له أخراجه في سبعة أجزاء . والعمل الجدير بالتنويه والشكر هو دقة فهارسه وشمولها . ومن أهم ما تحتاج إليه أمثال هذه الموسوعات هو الفهارس الدقيقة الشاملة فهي بمثابة المعالم التي تحدد المواقع وترشد إلى الاهداف . وتعين السالك في فجاجها ، تعصمه في بناهاتها من الضنى أو الضلال . وقد ركز أستاذنا — جهده فيما يستحق الجهد من عمل هذه الفهارس ، فقد وضع فهرسا عاما تناول فيه الأعلام بحسب اسم الشخص وأبيه وجده وما اشتهر به من كنية أو لقب . وفهرسا للقرون يذكر فيه شخصيات كل قرن ، ثم فهرسا للطبقات العلمية يذكر فيه كل طبقة على حدة . طبقة الشعراء والمغنين والقضاء والولاة والمتكلمين وغيرهم كل طبقة في اطار فهرسها الخاص . ثم فهرسا بالكلمات التي ضبطها المؤلف نفسه من نسبة أو اسم بلد أو علم غريب أو كلمة لغوية أو مثل .

فمتى يتاح لذخائرنا أن تبعث ولتراثنا أن يحقق وينشر ؟

محمد عبد الحليم أبو زيد

تاريخ الادب العربي

للاستاذ احمد حسن الزيات

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوي ، ومستيعاب موجز وتحليل مفصل ، واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى .

طبع اثنى عشرة مرة في ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشا عدا أجرة البريد

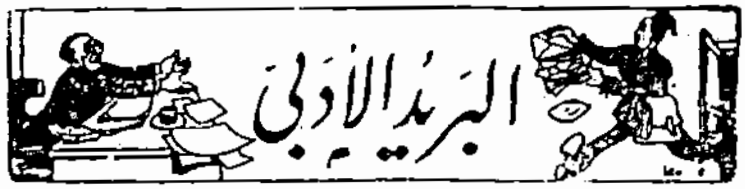

الأدب المتحر :

الأدب العربي — اليوم — يقاسي محنة عسيرة ، ويعاني تجربة قاسية، أسأل الله أن يجتازها بسلام .

ذلك أن نفراً من المبتلين بداء التقليد يطلعون علينا كل يوم بصورة من صور الإفلاس الكبرى ، والمجاعة العاطفية . فتراهم يحاولون تقليد المذاهب الغربية الهاربة من نعيم الحياة الحاقدة على المجتمع ، المنزوية في كهوف من الأوهام العاجزة المريضة .

وفي لبنان مجلة تقرأ في كل عدد من أعدادها نماذج من تلك المذاهب ، وأنا أورد ثلاثة نماذج من تلك الصور البشعة للأدب البغيض .

أحدها من قصة عنوانها (مواطن جديد) قال كاتبها في أولها :

« آه .. تنبعث من زاوية الكوخ فيرفع الرجل رأسه ، ويرنو إلى زوجته القابعة على بقايا حصير ، ثم يتطلع إلى وجهها الشاحب الباهت ويتسائل (هكذا) — ما بك ؟ . — الجنين . أحس ألماً شديداً في أحشائي . يبدو أن ساعة الوضع قد دنت . إن الشقي يتأهب فالنزول إلى الحياة ، ليأخذ نصيبه من الألم والعذاب، نصيبه من الشقاء والبؤس ... ويدير ببصره إلى باب الكوخ . ظلام .. الظلام يكتنف الكون ... لا ... الأكواخ ... فقط ... إن كلمات زوجته تهبط على رأسي كالطارق فهلا كفت عن الشكوى ؟

— أممك عود ثقاب ؟ ! .. يلتفت الزوج .. إن النور الضعيف الذي كان ينبعث من ذبالة السراج قدمات ... تلاشى .. فملأ السواد جانب الكوخ .. انطفأ .. ويمد الرجل يده إلى جيبه، لا شيء .. إنه مثقوب .. الجيب الآخر .. فتصطدم ببعض الأجسام الصغيرة يعرف بأنها علبة الثقاب لكنه يتمهل فلا يخرج يده .. بل ظل يعبث بتلك القطع ويمر بأصابعه على أطرافها ، هذه القطعة التي جوانبها ملساء .. فلس .. وهذه الصغيرة التي بأطرافها نتوء .. أربعة .. أما هذه الكبيرة قليلاً .. فعشرة .. خمسة عشر فلساً . إنه يتفحصها المرة العاشرة دون أن تزداد قليلا . خمسة عشر فلساً . يقولون إن النقود تأتي بالنقود والذهب يأتي بالذهب . أما النحاس ؟ . وينهض الرجل متثاقلا فيتحسس بأقدامه الأرض ... ... ويحمل الرجل السراج متذمراً ويهزه بيديه هزاً عنيفاً .

— نضب .. الماز نضب .. إن السراج خال من الماز .

تئن الزوجة .. ويطلق الزوج ضحكة قصيرة .. — حتى الماز أيضاً .. هه

— تضحك وأنا أتألم

— أجل أضحك وأنت تتألمين . يجب أن نضحك ونحن نتألم ، هكذا يريدوننا . أما الشكوى فكأي شيء آخر في الحياة محرمة علينا .. « يريدوننا أن نضحك ونحن نموت »

وهكذا تمضي القصة مفككة لا هدف لها ، كاذبة على الحياة ، متفلسفة في جو لا تعيش فيه الفلسفة ، زائغة عن القصد ..

. . .

أما النموذج الثاني فشعر بعنوان (نعش تائه) للطفي جعفر أمان يقول فيه :

ليل .. ومقبرة .. ومنبوذ بلا خفق طريح
هفت الرؤس لنعشه .. وتنفست صمتاً وريح
في كأس مجمجمة يريق شبابه يأساً جريح
تعزف نازفة النطاف بحقفها ولهى تصيح
بُعث العدم ..
في جنة تاظى يلف ربيعها فجر أصم
أنبته حياً .. فأزهر واضطرم
وارقته عطراً أغم
ناراً ودم

. . .

والقصيدة كلها غموض وتفسخ وألفاظ لا معنى لها ولا رواء

أما الثالث النماذج فبعنوان (حزني) لنير وبس يقول فيه :

بي حزن عميق ، مظلم
يحتضر في ضباب ابتسامي فيضيع
يجف في عطش
في خلاء اكتفائي
يحتضر فيضيع

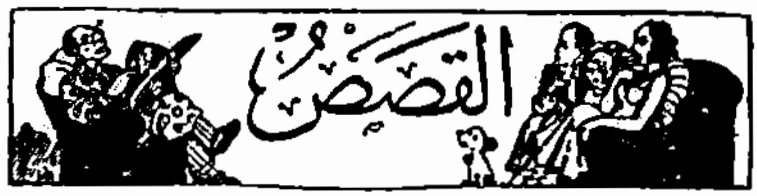

أقصوصة عراقية

بدور ابنة عمى

للقصاص العراقى شاكر خصباك

صحيح أن بدور لم تكن تعدو عن كونها ابنة عمى ، ولكننى مع ذلك كنت أحبها بقدر محبتى لوالدتى وهى كل ما أملك فى الحياة . كيف أنسى تلك اللهفة التى كانت تلهب نفسى إلى رؤيتها ورؤية أبوى حين كنت أقوم بمهام وظيفتى الحكومية فى (البصرة) ؟ وعند ما عدت إلى بلدتى لقضاء أجازتى السنوية .. رباه ، كيف يغيب عن خيالى ذلك الموقف ؟ ! لكم أثار منظرها فى نفسى من غبطة وحبور حين تهادت نحوى فى خفر وألقت على تحية اللقاء بلسان لثمه الحياء ووجه أضرجه الخجل ! ولأول وهلة كذبت عينى وأنا أتفرس فيها مأخوذاً ، قبل عشرة شهور فقط خلفتها طفلة ساذجة ، أما هذه فامرأة ، امرأة فاتنة تتضوع سحراً وإغراء ! أهى بدور حقاً هذه الشابة الرائعة ذات القامة الفارعة والجسد المتلىء والنهدين المتوثبين ؟! سبحانك اللهم..!

لكم تمنيت فى تلك اللحظة لو تطول الأجازة لأستمتع بالحياة الهنيئة فى هذا الجو العائلى الجميل الذى يظلله بالحنان المضطرم أبواى العزيزان ، وتنيره بالبهجة بدور العظيمة . أية أيام تلك التى هنئت بها فى مطلع عودتى ؟ ! لقد طفح قلبى بسعادة مشرقة . . سعادة فياضة لم أذق لطعمها مثيلا فى الأجازات السابقة ، ووجدتنى مسوقاً إلى الاهتمام ببدور أكثر من أى وقت مضى . ولست أدرى ما الذى أوحى إلى أننى كنت مقصراً فى محبتها أثناء الأعوام المنصرمة مع أننى محضتها أعظم الحب كما لو كانت شقيقتى الوحيدة ، عند ما

عذب ، حنون ، كأنفاس الحبيبة
كرطوبة الضباب يقمر الأزهار
به سكون ، به دموع ، به حنان ، به حنين عذب
أعذب من آلام المخلص ، فالآن قوة وظفر
أما حزنى فتنمرهائم فى نسيان
شعاع يتلاشى فى نور ، ضعف يرتعش فى حياة
حزنى أنين ، بليد ، بليد ، كالأحلام ، كالرقاد
أنفاس قبور .. لقاء حبيب .. دموع أم أنين
مدنية .. بليد .. بليد كالنعاس »
إلى آخر هذه السفسطة البليدة

غائب طعمة فرمان

حول مقال الجارم الشاعر :

قد اطلعت فى الرسالة الغراء بالعدد (٨٧٢) بتاريخ ٢٠ مارس سنة ١٩٥٠ على مقال الأستاذ عبد الجواد سليمان بعنوان الجارم الشاعر وقد سرنى هذا البحث القيم الذى يدل على وفاء الباحث لأستاذنا الجارم بيد أن الأستاذ ذكر البيت الآتى

بيت له عنت الوجوه خواشعاً كالبيت يمسح ركنه ويزار

وقال . (وإن التورية التى تضمنتها كلمة (البيت) لمن التوريات الطريفة الخ ...) وأنا أخالف الأستاذ فيما ذهب إليه ، وأرى أنه ليس فى البيت تورية ولكن فيه تشبيه مرسل . يشبه الشاعر البيت العلوى الكريم بالبيت الحرام الذى يمسح ركنه ويزار . والتورية هى أن يذكر لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد اعتماداً على قرينة خفية ولذلك تسمى (الإيهام) أيضاً لأن الأديب أو الشاعر يقصد بالتورية أن يوهم السامع أنه يريد أمراً غير ما يقصده فيدفعه إلى التأمل والتفكير ليدله على براعته ولهذا اشترط أن تكون القرينة خفية ومن أمثلة التورية قول المرى

إذا صدق الجد افترى العم للفتى مكارم لا تخفى وإن كذب الخال

أراد بالجد الحظ وبالعم عامة الناس وجماعتهم وبالخال المخيلة .

وقد أوهمنا المرى أنه يريد الجد والعم والخال أقارب الإنسان مع أنه لا يريد ذلك .

ابراهيم عبد الفتاح

انتقلت إلى منزلنا وهي في السابعة من عمرها عقب وفاة أبويها وكأن هذا الخاطر كان مدعاة لي لتلافي ذلك التقصير فاندفعت في رعايتها اندفاع الهوس في شكه ، وشغفت بمرآها شغف الطفل بلعبه ! وكنت أحس بينبوع من الهناءة يتدفق في قلبي حين أراها تخطر في الدار بوجهها الطاهر المبوح وشعرها الأشقر الطويل وقوامها الأهيف الرائع .

لا أذكر كم من الأيام لبثت أنهل من ينبوع السعادة الفياض ، عند ما بدأ ذلك الينبوع يفيض شيئاً فشيئاً حتى جفت مياهه . ولعلها كانت أياماً طوالا في حساب الزمن لكنني أحسست كما لو كانت يوماً واحداً . ولا أعلم أيضاً متى بدأ النبع يجف ؛ أفي تلك الساعة التي لمحت فيها مهدي متكئاً على سور السطح المشرف على دارنا وعيناه مثبتتان على سطح منزلنا كأنه يترقب ظهور شخص معين ؟ أم في تلك الأمسية التي وافيت فيها بدور إلى السطح فألفيتها متشاغلة عن العمل ترصد سور السطح المجاور في لهفة وقلق ؟ أغلب الظن أنه بدأ يجف في تلك الأمسية ، فلا زلت أتصور كيف حدقت إلى الناحية التي تتجه إليها أنظارها فارتسمت في خيالي في التو صورة الشاب المتكيء على السور وفي عينيه شوق حائر . وانبعث في أعماق شعوري داخلي بشيء بوجود صلة تربط الاثنين .

وبين يوم وليلة تفتحت عيناي على حقائق مرة .. إن بدور لم تعد تلك الصبية الحيية الهادئة التي عهدتها بالأمس .. كل همها اليوم أن تبدو جميلة فاتنة ! في الصيف الماضي لم تكن تتهيأ بالوقوف أمام المرآة .. وفي هذا الصيف دأبت على مناجاتها دون كلل أو ملل . ماذا جرى بالله يا بدور ؟! ما ذا جرى ؟ !

لم يكن الأمر مغلفاً بغموض يعوزه التأويل .. إنه مهدي .. ذلك الشيطان ! كانت تنذر أوقات فراغها للتبرج له .. له وحده . وكانت تخلق الأعذار الواهية لتخف إلى السطح وتنشر زينتها أمام عينيه . وكم اختلست إليها النظر وهي تخطر على مرأى منه في رشاقة وخيلاء ، وتطلق موجات الإغراء من مكمنها في الشعر الساحر .. تارة تهدل بعض خصلاته على جبينها فتلقي برأسها إلى الوراء في دلال متكلفة إبعادها ، وطوراً تتدلى ضفيرتاها على الصدر الأشم فتقذف بهما إلى كتفيها في حركة فاتنة ، وحيناً تتناثر الشعيرات المتوهجة كأشعة الشمس على وجهها تغمره القبلات فتمد إليها يدها وتداعبها في حنان . بدور .. بدور ، لماذا اخترت مهدي من دون الناس جميعاً لتغرقيه بفيض فتنتك ؟! إنه لم يكن أهلا للاختيار فهو شاب سيء النوايا لا يعرف للحب الصادق معنى . وكنت كالزهرة العبقة المتفتحة في مطلع الشمس فاشتهاك كما تشتهي الفراشة الزهرة الزاهية . وكما تنبذ الفراشة الزهرة بعد أن تمتص رحيقها يتمتع الشباب العابثون من طرازه بالفتاة ردحاً من الزمن ثم ينبذونها بعد حين ، وقد أشفقت عليك من هذا المصير التعس يا بدور ، فلماذا تجاهلت غرضي ، لماذا ؟!

كان غاية همي أن أصرفها عن سلوكها الشائن الذي لم أشك لحظة واحدة أنه سيوردها موارد الهلاك ، فعقاب زلة القدم لا رجوع فيه . لكنها تسلحت بالصمم حيال نصائحي المتواصلة . بدور ، إن التعرض لأنظار شاب غريب بهذه الهيئة الفاضحة مضر بسمعة العائلة . يوسعك أن تلبسي هذا المظهر أمامي فأنا ابن عمك ولا حرج عليك في ذلك ، ولكن مهدي شخص غريب .. بل إنه شاب خبيث يا بدور . أفلا تفهمين ؟ ! أرجوك .. أرجوك يا بدور .. تجنبي فضوله .

لكنها لم تتجنب فضوله ، كانت على يقين أنني عاجز عن الوقوف في وجه نزواتها عجز الطير المقصوص الجناحين عن الطيران . فالواجب المنزلي يقتضيها الصعود إلى السطح كل عصر لتنظيفه وتهيئة أسرة النوم وبذلك تتهيأ لها رؤيته . وكانت تلك الحقيقة الكاوية تلذع مشاعري بنيران الغيظ ، فأحس كلما غدوت على فراشي ليلا بوخز يلسع ظهري كما لو كنت راقداً على حزمة من الشوك . وذات أمسية ، بينما كنت مستلقياً على الفراش وذهني عاكف على مراجعة غرامها الطائش تراءى لي أن أسلوب اللين الذي أعالج به طيشها لن يجدي شيئاً ، وقر في عزمي أن أهجر ذلك الأسلوب . وفي صباح اليوم التالي أمرتها بلهجة حازمة أن تتلفع بالعباءة كلما ظهرت على السطح . ولم يخف على ما بدا على صفحة وجهها من تجهم واحتجاج وإن لا زمت الصمت ولم تفه بكلمة اعتراض . ولكنني كنت كمن ينتظر أن يهجر البلبل التغريد ويمتنع الريحان عن نشر أريجه !

ومضت أيام ..

وكان من عادتي أن أبرح الدار في مساء كل يوم لأتنزه في

شوارع المدينة بصحبة صديق زكي ، ثم أعود أدراجي حين يهبط ستار الليل ، وخرجت تلك الأمسية في ساعتي المحددة ، وبدلا من أن استصحب صديق زكي تجولت في الشوارع منفرداً ، ثم قفلت راجعا — قبل ميعادي — وكانت رغبة قوية تدفعني نحو المنزل ... وتلك لحظة لن تمحى صورتها من مخيلتي أبداً .. حين ظهرت أمام بدور . وجدت في مكانها كالتمثال وراحت ترسل إلى النظر في ذهول يشوبه الرعب كما لو كنت عفريتاً انشقت عنه الأرض وتعالى فوقها بهامته ! وكان كل شيء كما تجسم في أعماق منذ البداية .. كانت تخطر على السطح بدون عباءة وشعرها الأشقر منثور على كتفيها في إهمال يثير كوامن الإعجاب كأنها إحدى حوريات البحر المنطوية في ضمير الأساطير .

واستولت على مشاعر وحشية وانثالت علي سيول من الغيظ الجارف ، فانقضضت عليها كما ينقض الوحش الكاسر على فريسة ضعيفة ، وجررتها من شعرها إلى غرفة السطح وأقفلت بابها ، ثم انهلت عليها ضرباً وركلا وصفعاً ... يا إلهي ، لم غرست في قلبي هذه المواطف المتدفقة بالشفقة والحنان؟ أفلم تكن تستأهل ذلك العقاب فما الذي دعاني إلى الاحتراق في لهيب ألمها ؟! كنت أحس بكل صفعة تهبط على خدها تقفز إلى خدي ، وبكل ركلة أسددها إلى جسدها تتحول إلى جسدي وكانت صيحاتها الفزعة رصاصاً يمزق سمعي ، ودمعها المتدفق شواظاً يحرق قلبي . ومع ذلك لم يكن بوسعي تلك اللحظة أن أكبح جماح الرغبة الجبارة التي استحوذت علي بالإمعان في إيلامها ! كنت كاليائس من الحياة الذي يفضل الموت فيواصل طعن قلبه حتى يكف عن الوجيب .

ومنذ ذلك اليوم لاحت في عيني بدور صورة لمشاعرها الثائرة ... صورة خطوطها المقت والعناد وإطارها الاستهانة والازدراء وتمادت في فيها كأنها تتعمد مما كستني . وضاعفت عنايتها بزينتها في الساعة التي تتأهب فيها للظهور على السطح استعداداً للقاء الحبيب . وكنت حين أرقبها وهي تقف أمام المرآة وتمشط شعرها في عناية وتمهل ثم تضفره أو تعقصه أو تدعه منثوراً على كتفيها أستشعر موجات من الرغائب المتناقضة تتدافع في صدري . ففي الوقت الذي تتملكني فيه رغبة في قص ذلك الشعر من آخره ، تساورني رغبة أخرى في العناية به بنفسي وتزيينه بيدي .. !

كنت أبغي لها الخير على أية حال ، فلم واجهته بالشر ؟ ولماذا كانت تجد لذة في إثارة الألم في نفسي ؟ ! كانت تعلم حق العلم بما تجر على تلك الساعة من عذاب . حين يقترب أوان العصر وينادي بها السطح لإعداده . ومع ذلك كانت تحاول أن تذكرني بها جهد استطاعتها لتغذي شعلة عذابي ، فإذا ما حان الوقت خفت خطواتها على بلاط الدار حتى لتكاد تتحول إلى رقص ، وحلق فوقها نغم غنائي صامت ينبثق من شفتيها في عذوبة وسرح ، وتلألأ شعرها وازداد بريقه ، واشتدت حركتها ونشاطها ، فتروح وتجيء وتدخل وتخرج ، وتتعمد المرور على مقربة مني دون أن تنظر إلي أو أن تلقي على نظرة عابرة كما لو كنت قطعة تافهة من أثاث الدار لا تستوقف النظر ، وكانت تلك الخطوات الخفيفة والنغم المرح والحركة الدائبة والشعر المتوهج تتجمع في مخيلتي وتتجسم حتى لتبدو شخصاً متكاملا له ملامح مهدي الشريرة وابتسامته الخبيثة التي توحي بالمكر وتبيت الغدر . أيها الناس : من باستطاعته أن يتلقى سلوك بدور في رزانة وهدوء ؟ ! ومن يقدر أن يشهدها تتغازل في غريباً أمامه وهو ابن عمهـــا ؟ ! وصحيح أنها لم تبادل مهدي كلمة واحدة ، وصحيح أن محاولات مهدي الغرامية لم تتجاوز النظرات المشوقة ، كل هذا صحيح ، ولكن من في إمكانه أن يضمن تفاديهما الخطيئة إلى النهاية ؟ ! من في إمكانه ، من ؟!

وبدت لي الحياة مظلمة قاتمة ، وانقلبت الأوضاع في عيني ، وشرعت أنظر إلى الأمور بعين المستقبل كما لو كانت الكارثة قد وقعت بالفعل . ولم لا تقع ؟ إن أية قوة في الأرض لم تكن قادرة على ضبط عواطف بدور وتقويم سلوكها ، بينما لبث مهدي قائماً على عهده ؛ يترصد ظهورها على السطح ليلتهم شعرها الأشقر وصدرها الناهد ووجهها الفاتن بنظراته الأثيمة . كم مقت ذلك الغبي الخبيث بل الشيطان الرجيم الذي أرسلته أبالسة الجحيم ليمكر ليمكر هنائي في تلك الأجازة التي بشرتني بادىء الأمر بسعادة طافحة . وأصبحت سجيناً في الدار رهن مخاوفي ، ولم أعد أطمئن لوجودي بعيداً عن بدور . فضلت سجن الدار على سجن الشكوك والتهاويل .. وأي سجن ؟ ! كنت أتنزه على السطح في عجاجة الغبار الذي تثيره بدور أثناء الكنس في الوقت الذي يهرع فيه الناس إلى الشوارع الجميلة . وكم كان يشق علي أن أراقبها في تلك اللحظات

عند ما أرى عباءتها تنزلق عن رأسها بين حين وآخر فتكشف عن شعرها المتوهج بلون الذهب الصافي وتفسح له سبيل الإغراء !

آه منك يا بدور .. كم كنت عنيدة قاسية ! لقد أعجزتني . أقسم لك أنك أعجزتني فلم أعد آمل إلا بكف ذلك الوقح عن غزله الصفيق . وفكرت أن أذهب إليه وأستعطفه عله ينصرف عنك . تصوري ! أوشكت أن أكون كمن يتوسل إلى اللص ليعيد إليه ماله !

ولكنني وجدت نفسي، حين رأيته صباح اليوم التالي على رأس الزقاق ، أجذبه من (بافة) سترته بعنف وأبادره بلكمة ألقته على الأرض صريعاً وأنا أصرخ مهدداً إياه بالقتل إن لم يكف عن البحلقة في سطحنا ...

ما أعظم السعادة التي تغمر المرء حينما تستجاب له رغبة قد يئس من تحقيقها ، وما أعظم الفرحة التي اجتاحت كياني حينما أقبلت الأمسية التالية فلم يلح لمهدي ظل على السور ، وأمسيت واثقاً أن أثر وعيدي قد سرى في نفسه . ألم تر السجين وهو ينطلق من باب السجن لأول مرة بعد أعوام طويلة طواها بين القيود والأغلال ؟ أهكذا كنت حين ارتديت بدلتي على عجل وهرعت إلى دار صديقي زكي لأحتفل بالمناسبة السعيدة باجتراع كأس من الخمر بعيداً عن أعين الرقباء . وكم دهش زكي من تلك البهجة التي أشربت جوانبي بالخفة والمرح وأثارت وجهي بالبشاشة والارتياح وهو الذي عهدني كئيباً مغتماً كسجين ينتظر ساعة إعدامه على حد تعبيره ولا زلت أذكر كيف كان يرمقني باستغراب وأنا أرفع الكأس إلى ثغري في ضجة وصخب وألقي الفكاهات المحطمة في حماس ثم اندفع مقهقهاً ولازلت أذكر أيضاً أنه سألني في دعابة — وأنا في غمرة نشوتي — إن كنت قد ربحت الجائزة الأولى ليانصيب (جمعية المواساة الخيرية) فانطلقت أحشو أذنيه بمحاضرة طويلة مضمونها أن قيمة المال تافهة بالنسبة للحياة الحقة ، وأن المواطف المتقدة الجميلة التي تهبها لنا هي الكل في الكل ولا إخاله فهم شيئاً من محاضرتي لأنني كنت كمن يحدث نفسه حديثاً خاصاً .

وتوالت الأيام دون أن يظهر مهدي على السور وتلفت بدور اختفاءه في الأمسية الأولى بهدوء وعدم اهتمام . وفي الأمسية الثانية تسللت إلى صدرها هبة من رياح القلق عبر الفجوة الصغيرة التي تفتقت في أحاسيسها . وأخذت الفجوة تتسع وتتسع على تعاقب الأيام والرياح تتكاثر وتتكاثف حتى مـــلأت صدرها . وعندئذ انقلبت إلى مخلوقة جديدة لا تمت إلى بدور بصلة سوى الشبه في الملامح والتكوين . أما بدور القـديمة — بدور بروحها المرحة ووجهها الطلق وعينيها المتألقتين وشعرها المترفع فقد باتت حلماً عابراً في نومة هانئة .

يا لتلك الحياة الجديدة التي ولدت لها .. حياة أشبه بتلك التي تمنح لوليـد كتب له العيش في الظلام . كانت تتحرك وتروح وتجيء ولكنها تمثال — تمثال تحت رمزاً للكآبة واللوعة والحزن وأصبح منظر شعرها كثيباً قاتماً كأنه يشاركها في مصابها ، ولم يعد يذوق للمشط طعماً بل بات يترامى على كتفيها في إهمال ويتجمع على بعضه ويلتف في مذلة وخذلان ولم أكن أتصور أن تخلف غيبة مهدي في نفسها ذلك الأثر ، فقد كنت أحسب أن ألمها سيكون كسحابة صيف تحجب الشمس الساعات ثم لا تلبث أن تتبدد سريعاً . ولكن الأمر تبدى لي أعمق مما تخيلته بكثير ، وما كان هذا الوضوح إلا ليضرم ألمي ويأسي وموجدتي . ووجدتني في موقف أحسد فيه نفسي على حياتي الماضية . وكان من الواضح أن بدور تنهمني بإقصاء مهدي .. كانت كل حركة تبـدر منها تعلن ذلك الاتهام في صراحة صارخة . وكنت أقرأ ذلك الاتهام في عينيها واضحاً سافراً في الأيام الأولى ، حين كانت تهرع إلى السطح ساعة العصر في لهفة لا تعد لها لهفة الأم وهي تخف لاستقبال ولدها الغائب ، وتقف حيال سور المنزل المجاور تنو إليه بعيون حائرة ساهمة والأسى ينضح من ملامحها . ثم تحول إلى أنظارها لأطالع فيها اتهامها المغلف بالتيظ والمقت والازدراء ، كما لو كنت أقرأه في كتاب

لكنها لم تلبث طويلا حتى حرمتني من آخر أثر كان يشعرني بصلتي بها فكفت عن مطالعتي بنظراتها الساخطة . ماذا دهاك يا بدور ، ماذا دهاك ؟! أفيستأهل ذلك الصبي الأخرق الذي لم يكن ليتجاوز مراتب الطفولة كل هذا الحب والهيام ؟! أفمن العدل أن يؤدي بك خبثه إلى كراهيتي وأنا الذي رعاك بحبه وحنانه منذ أن وطئت قدماك أرض الدار ؟!

وعدت أتمنى أن تحدجني بدور بنظراتها الفياضة بالبغض

والازدراء ... أجـل ، فقد أصبحت تواقاً إلى أن أحس لنفسي وجوداً في دنياها بأي شكل كان ! ولكن ذلك الصمت ، وذلك الجـــود ، وذلك التجاهل . يا إلهي ، ليس في طوق أن أحتمل هذا كله .

وراحت تتحاشى مواضع وجودي في إصرار عجيب ، ومضت تتجنب النظر إلي في عناد غريب ! ولبثت حائراً معذبا في زحمة العواطف التي تتصارع في نفسي تجاه سلوكها الفظيع . تارة أحس بالغيظ والحقد حين يخطر في ذهني أن صبياً خبيثاً كمهدي استطاع أن يثير في نفسها تلك الزوبعة المروعة . وطوراً أستشعر حزناً عميقاً حين أتمثلها تدب في ساحة الدار في تخاذل والصمت والكآبة والذهول تدثرها بغطاء كثيف . وحيناً تسمر بين جوانبي نيران ثورة مكتومة على تلك القوة المجهولة التي تسير أحداث الحياة ونجد اللذة في معاكسة الانسان وكانت تلك الثورة تخفف عن كاهلي عبء ما أحسه من كراهية واحتقار لنفسي بسبب قسوتي على بدور ، إذ تدعوني إلى تبرير سلوكي وسلوك بدور ومهدي وإلقاء التبعة كلها على القوة المجهولة ... إنني لست ملوما على تصرفي هذا فأنا مرغم على اتباعه ... يجب علي أن أدافع عن شرف الأسرة تجاه أية محاولة لثلمه ، وبدور ليست ملومة على سلوكها فهي تحب مهدي ... ما ذنبها إذا كان قلبها قد هفا إلى ذلك الشاب ؟! ومهدي ليس ملوماً على غرامه ببدور ... لقد عثر على فتاة كاملة الجمال تبادله الاعجاب فاتجهت إليها عواطفه . إن أياً أحداً منا — في الثلاثين — لا يؤاخذ على سلوكه الخاطىء ... إن اللوم وحده تلك القوة المجهولة التي رتبت ماجريات الحياة في صورة متنافرة الألوان . أفلم يكن بوسعها أن تحمل بدور على الوقوع في غرامي بدلا من التعلق بشاب غريب ؟! لو حدث هذا لما اضطر أي أحد منا إلى سلوكه الخاطىء ، فأنا ابن عمها ولا ضير عليها إن حاولت أن تستولي على عواطفي بأية طريقة كانت ، أما أن تحاول اجتذاب شاب غريب ونحن في مجتمع يتزعم القيم الاجتماعية فيه والشرف الجنسي ، فهذا هو الخطأ عينه ، ولكن هكذا تريد تلك القوة الساخرة

وظلت الشمس تشرق في الصباح وتغيب في المساء وحياتنا مدثرة بجمودها الكئيب ، إلى أن حلت تلك الساعة . وكانت الشمس قد تأهبت للمغيب وبساط السماء الأزرق قد صبغ بحمرة قانية ، أشبه بساحة معركة خضبت بدماء المتقاتلين ، وكنت أذرع السطح بخطوات متمهلة وبين يدي كتاب أحاول القراءة فيه ، في حين انكبت بدور على عملها وهي تتحرك في صمت وجمود كأنها آلة صماء . وفجأة ، وبدون أن أصدق عيني ، رأيت مهدي يظهر في موضعه على السور ! وتسمرت قدماي في موضعهما وانطلقت أحدق فيه مذهولا كأني أشهد حدث كارثة مروعة لا تدخل في نطاق التصور ، ومضى هو يرمقني بنظرات تفيض بالتحدي والازدراء وعلى ثغره ابتسامة احتقار ! وجف حلقي حتى تعذر علي أن أبتلع ريقي ، وشحب وجهي حتى إخاله بات بلون التراب . وهبت بين جوانحي عاصفة تزأر بالحقد والخيبة والقنوط ، وطفت على رغبة جارفة بتحطيم شيء ما أيا كان !

ثم حولت أنظاري إلى بدور فإذا هي مسمرة في مكانها وهي تحدق في السور منتشية سكرى كأنها في وادي الأحلام لا في عالم الحقيقة ، وكان وجهها قد شع بنور ألاق فبداء رائقاً صافياً كسماء الشتاء المدلهمة حين تنقشع عنها الغيوم . ومكثت جامداً في موضعي وأنا أنقل النظر بينها وبين مهدي بفكر تائه وعواطف صاخبة

ثم بدأت المناظر تختلط أمام عيني ولم أعد أميز ما يجري حوالي بوضوح . رأيت بدور تتحرك من موقفها وتنتقل في ساحة السطح بحركة رشيقة كالرقص وعيناها موصولتان بعيني مهدي . ثم اتجهت فجأة نحو السياج المنخفض المشرف على الدار وانحنت عليه ، وجن جنوني في تلك اللحظة حين تراءى لي مهدي يتلقفها بين ذراعيه ويغمر وجهها وشعرها بقبلات نهمة ، واندفعت نحوهما حانقا لأنتزعها من بين ذراعيه ، ولكني توقفت بإزائها مشدوها حين رأيت جسدها يترنح على السياج في عنف ، ودوت صرخاتها في أذني فزعة هائلة ، ومددت يدي لأجذبها نحوي ولكنها هوت إلى الأسفل

وحين أفقت من ذهولي وجدتني منحنيا على السياج وأنا أحملق كالمخبول في جثة بدور المحطمة على بلاط الدار ، ولم أفهم ماذا حدث بالضبط هل اختل توازنها وهي منحنية على السياج المنخفض فانقلبت على رأسها ، أم أنني ، أم أنني دفعتها بيدي ؟؟ لست أدري ـ لست أدري !

شاكر مصباح